

عندما ألفت هذا الكتاب، وقد تواكب نشره مع دخول صدام حسين الكويت، نوهت أن الكتاب لا علاقة له بالحدث، واليوم ونحن نطبع الكتاب للمرة الثالثة دون أي تعديلات، أنوه أنه لا علاقة له بسقوط صدام حسين والطاغوتيه الأمريكية الصهيونية، ذلك أن الكتاب يتناول صدام حسين، باعتباره صاحب فكر يعادي الإسلام، وهو فكر حزب البعث الإجرامي، فإن كان صدام حسين قد تغير فكره أو تبدل معتقده قبل سقوطه، فشأنه عند الله تعالى، إنما هذا الكتاب يتناول صدام حسين في ضوء انتمائه البعثي، ويتناول الفكر البعثي من خلال صدام حسين، ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي يعالج لأول مرة في المكتبة العربية ضلالات حزب البعث العربي الاشتراكي الذي قهر الأمة لسنوات طويلة وجرها إلى مهالك ندفع ثمنها حتى اليوم إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا .

المؤلف

الطبعة الأولى
سبتمبر ١٩٩٠
الطبعة الثانية
اكتوبر ١٩٩٠
الطبعة الثالثة
يناير ٢٠٠٤

عنوان الكتاب: صدام حسين (النشاة . التاريخ . الجريمة)
اسم المؤلف: أبو إسلام احمد عبدالله
الناشـــــر: المؤلف
التــــوزيع: بيت الحكمة ـ القاهرة
رقـم الإيداع: ٧٢٦٢ / ١٩٩٠
الهــــاتف: ٤٨٤٤٦٠٤ـ٦٨٣١٥٥٢ القاهرة
العنوان الإلكتروني: abuislam_a@hotmail.com
العنـــوان البريدي: القاهرة ـ كوبري القبة
(٥٠) شارع الناصر ـ الدور (٣)
رمز بريدي (١١٣٣١)



وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾

بعيداً عن « لوبي » الإعلام وأدواته
نقدم هذا الكتاب

ليس من علاج سوىً لطبائع البشر المعوّجة إلا التمسك بأهداب القواعد الربانية التي وضعها الله سبحانه وتعالى كمنهج فكر وعمل وسلوك لعباده ..

والذي سار على درب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والرضا بالقضاء خيره وشره قولاً وفعلاً هو وحده الذي يستطيع أن يفهم معاني تلك الكلمات البسيطة ويدرك ما هيتها ، وقدرتها على توجيه سلوكه وترشيد فكره وتنوير بصيرته .

والذي نراه حولنا من سياسات بعض الملوك والحكام وما يفرضونه بإعلامهم وأبواقهم على عقولنا من أكاذيب وأضاليل وأغلاط هو بالضرورة خارج دائرة هذا الإيمان الرباني وبالتالي فهو يغوص بنا - إما راضين أو مرغمين - في الدائرة الأخرى للإيمان الآخر بالمعتقدات الخاصة التي صنعها البشر وما أنزل الله بها من سلطان فباختصار .

هالني ذلك السيل المنهمر من الكتب التي تناولت إيران ومذاهب الشيعة وأفكار الباطنية والخوارج .. الخ بعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية بشهور قلائل بعد ما رتب كل طرف من أطراف لعبة الأمم أوراقه حسب مصالحه العليا وحسب مصالح أولياء نعمته في بلاد الشرق والغرب على السواء ..

أذكر أن الإعلام المصري بالتحديد كان قبلها بيوم واحد وحتى بعدها بأيام وأسابيع يندد بالرئيس العراقي صدام حسين ويصب عليه اللعنات من كل واد .. والابتهالات والدعوات من أجل إيران والشاه والشاهنشاه ..

فلما أمر أصحاب القرار من الأمريكان ذوي السلطان في بلاد الإسلام بتغيير اتجاه الرياح ، وجدنا الإعلام بين يوم وليلة انقلب على أم رأسه يلعن إيران المجوسية ويدعو لصدام الفارس العربي الملهم ، وشعوبنا - سامحنا الله - لا تملك من أمرها شيئاً غير الامتثال للذبذبات القصيرة والموجات الطويلة وما تفرزه لهم بحساب دقيق وكالات الأنباء الصهيونية والمأجورة والتابعة ..

وفي هذا الخضم الثائر الغاضب على الثورة الإسلامية في إيران تساءلنا في

عجب :

ألا يوجد واحد .. واحد فقط ممن حملوا على عاتقهم ارشاد المسلمين إلى خطورة إيران أن ينبه أيضاً إلى خطورة الرفيق القائد الملهم لحزب البعث العر بي الإشتراكي ، على الأمصار والأوطان وعقيدة الإسلام ؟

لكن هيهات أن تجد إجابة ؟ .. فالرياح والأمواج والعواصف والأبواق كلها كانت تسير في اتجاه واحد كالثور الأسود في فلك الساقية .

– ولكن صراحة : من ذا الذي كان يجرؤ أن يكتب عن حزب البعث الصدامي قبل شهور قليلة من جريمته النكراء فيضع نفسه في شبهة الاتهام بأنه يكتب ضد العروبة والإسلام؟

✍

وتجسدت الفكرة في رأسي .. وعزمت على إعداد هذا الكتاب الذي لم أجد سابقاً له في المكتبة العربية بإطلاق إلا كأبواب أو فصول أو مقالات أو آراء أو عبارات متناثرة بين الصفحات ..

وكان أيضاً مثار عجب واستفزاز ألاّ يوجد في المكتبة العربية كتاب واحد يعالج بصورة مباشرة وواضحة سرطان « حزب البعث العربى الإشتراكى » الذي سكن الجسدالعربي منذ أكثر من أربعين عاماً في سوريا ولبنان والعراق وتناثرت عدواه ومحاولات لقلب أنظمة الحكم في تونس وليبيا ومصر والسودان والمغرب والعربية السعودية للتخريب والدمار .

وبدأت أجمع الشتات من كل حدب وأسأل كل من له صلة بالإشتراكية أو الشيوعة أو الماركسية أو القومية العربية عن دليل أهتدى به إلى مصادرى الأولى التي يمكن أن أضع من خلالها الخطوط العريضة للبحث .. فكان الجواب من عندهم : لا ترهق نفسك .. وكان الجواب عندى : لا بأس ..

ومع كل صباح جديد كانت تبدأ رحلة بحث جديدة .. حتى استطعت بحمد الله أن أضع يدي على بعض الأصول الفكرية لهذا الحزب الجهنمي . والتي عليها بدأ البناء .. وتفتحت بها الأبواب المنغلقة ، وحُلَّت من خلالها الألغاز الغامضة ، وارتبطت حلقات

الأحداث المتناثرة ، بعد لأي وجهد شديدين .

وكانت سعادتي الكبرى عندما تحمس أخي الشاب الطموح الأستاذ قاسم عبد الحميد للفكرة .. واستجاب بشغف وإقبال وإخلاص لمعاونتي في إخراج هذا الكتاب المهم والخطير وحمل على عاتقه استخلاص أصول وقواعد المنهج الفكري لحزب البعث وتحديد رموزه .. وما كان هذا العمل بالأمر الهيّن أبداً .. لأبدأ بعده إتمام المشوار .

✍

وما إن انتهيت من إعداد الكتاب بفضل الرحمن وبدأت أفكر في مدى استجابة الشارع المصرى لمثل هذا الكتاب المتصادم مع التوجه السياسي العام ، حتى قطع المذياع إرساله معلناً إحتلال الطاغية البعثي لأرض الكويت الشقيق ساحقاً بدباباته الغادرة جثث المسلمين بالعشرات ، مطارداً بلا رحمة أبناء الديار وضيوفهم في كل مكان حتى أجبرهم على الهروب عبر الصحراء والرمال الناعمة التي ابتلعتهم فماتوا في باطنها جوعاً وعطشاً وهلعاً ، ثمناً لمطامعه وإرضاء لعقيدته البعثية الفاسدة وشعاراته العلمانية والدموية الحاقدة ..

وحينذاك وجدت أن الأمر لم يعد مجرد تأليف كتاب وحسب ، وإنما هو واجب شرعي ثم واجب قومي ووطني ، لامجال فيه لأية محاذير أو حسابات .. وعلى الله توكلنا ، وإليه أنبنا ، وعليه سبحانه وتعالى قصد السبيل .

أبو إسلام أحمد عبد الله

القاهرة فجر العاشر من صفر ١٤١١ هـ

الأول من سبتمبر ١٩٩٠ م

الباحث عن الزعامة

الزعامة والريادة هي الآفة التي نخرت عظام الأمة ، ودفعت الساسة والمسيِّسين عندنا إلى التناحر والاختلاف والجور والظلم والاستبداد .. وما أكثر الزعامات الكرتونية التي نجحت في خداع الجماهير وأخرجتها إلى الشوارع ترفع صورها وتهتف لها بالولاء والفداء بالروح والدماء .

ولعل أوضح مثال لهذا الفريق من الزعامات .. وذلك الذي قد تسمع عنه لأول مرة في التاريخ المعاصر ، هو الزعيم العربي البعثي الإشتراكي « زكي الأرسوزي » النصيرى[1] (العلوى) ، أول من حملوا على كاهلهم رسالة الدعوة إلى فتنة القومية العربية التي يذيقنا اليوم مرارتها القاتل التكريتي « صدام حسين » .

كان الأرسوزي نشطاً في « عصبة العمل القومي » الماسونية في الفترة من ١٩٣٣ إلى ١٩٣٩ ولأسباس مازالت غامضة انسحب من هذه العصبة وانتقل من الاسكندرونة (بعد أن فقدتها سوريا) حيث كان يعيش هناك ، مسافراً إلى دمشق ساعياً إلى تكوين تنظيم جديد غير محدد الأهداف ، فالتقى مع شخصيات مشابهة له مثل ميشيل عفلق (نصرانى) ، وصلاح البيطار وميشيل قوزما (نصرانى) وشاكر العاصي أليس قند لفت (نصرانى) .. لكن تلك المجموعة الفريدة لم تتفق على شئ وفشل الأرسوزي في إقناعهم بزعامته ، حتى قال عفلق عنه :

((الأسوزي كان شخصاً قريباً منا وكنا نوده ، ولو أنه كان هناك شبه إجماع من معارفه بأن لديه بعض الشذوذ « أي يرتكب شطحات » وهو أقرب إلى أن يكون فيلسوفاً متأثراً بالعقائد الباطنية مع دراسته للفلسفة فى فرنسا ، لذلك كانت أفكاره السياسية غير متزنة ، وما كان في الأمكان التعاون معه ولقناعتنا بأنه غير عملي وغير واقعي في أفكاره السياسية))[2] .

ولم يقنع الأرسوزى بهذا الفشل السريع وبعد أسابيع قليلة من إقامته في دمشق نجح في استقطاب عدد جديد من الشباب كان من بينهم إضافة للأرسوزي ، سامي

---

١ - النصيرية ، طائفة شيعية تؤلّه الإمام على بن أبى طالب ، وتقدس عبد الله بن سبأ اليهودى .. وينتسب إلى هذه الطائفة الرئيس السورى حافظ الأسد .

٢ - حزب البعث العربي الإشتراكي ودوره في السياسة العربيجة ص ٥٣ .

الجندي ، عبد الحليم قدور ، يحيى السوقي ، صدقي إسماعيل ، محسن الشيشكلي ، وكوّن منهم ما أسماه « الحزب القومي العربي » وقد حدد مبادئه في عبارات قليلة وغامضة هي :

١ - العرب أمة وحدة .
٢ - للعرب زعيم واحد ، يمثلها ويعبر عنها اصدق تعبير .
٣ - العروبة وجداننا القومي ، مصدر المقدسات ، عنه (الوجدان) تنبثق المثل العليا وبالنسبة إليه تقدم قيم الأشياء .
٤ - العربى سيد القدر .

وقد فسر سامي الجندي[1] تلك المبادئ بصفته أحد مؤسسي حزب البعث السوري . فقال عن المبدأ الأول ((إن قول الأرسوزي : العرب أمة واحدة ، دليل على أنه عرقي يؤمن بالأصالة والنبالة فهو أرستقراطي النزعة والفكر ، العرب عنده قوم ، والفردية فيهم نزعة إنسانية ، أما الأمة فمزيج تضيع فيه ملامح الإنسان التي تسمو على قدر ما تصفو الأعراق)) .

ثم ينتقل سامي الجندي إلى تفسير المبدأ الثاني فيقول :

((للعرب زعيم واحد : يعطي الأرسوزي الزعامة معنى صوفياً متأثراً بنشأته العلوية الباطنية ، فالزعيم ليس سياسياً فقط وإنما هو نجل أنساني ، قمة فضائل الأمة يعبر عن طاقتها على العطاء الروحي والبطولي إنه فيما يقضي فيه ، فهو الحاكم السياسي الديني الزعيم مبدع « أفكار ودولة »)) .

ثم ينتقل سامي الجندي إلى تفسير المبدأ الثالث فيقول :

((العروبة وجداننا القومي ، إنسانيتنا « نحن » . انبثقت عنه المقدسات ، الأمجاد والبطولة والدين ، الفكر والفن ، هي « نحن » الأصلية المبدعة لعطائنا التاريخي الحضاري ، ينبوع القيم الخلقية . فقبل الأرسوزي كانت كلمة العروبة تعنى كل شئ ، أما هو فخرج بها من التعريف الضحل الذي يعطى العروبيون كل على هواه ، ليعطيها هو المدى الفكرى)) .

---

١ - ترقى فى المناصب البعثية حتى أصبح وزيراً .

وما كان للحزب القومي العربي بمثل هذه المبادئ الغريبة على المسلمين في ظل الحكم العثماني ، أن يستمر طويلاً فسقط ميتاً في نفس العام الذي أنشئ فيه أو قل أنه ولد ميتاً فسافر الأرسوزي مباشرة ليجرب حظه في العراق علّه يستطيع أن ينجح في اجتذاب أفراد يؤمنون بزعامته وأفكاره العرقية فلم يلتفت إليه وإلى أفكاره أحد فعاد ثانية إلى سوريا بعد أقل من عام غاضباً ، صاخباً .. متهماً القائمين على الحكم في العراق بالعمالة والخيانة ..

وربما تنبه الأرسوزي إلى جهلة باللغة العربية وأثر ذلك في نفوس العرب الذين يدعونهم إلى القومية فدأب على تعلمها والتمرس في الحديث بها حتى أتقنها ، ثم بدأ إلى تكوين حزبه المنشود الذى عقد اجتماعه التأسيسى في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٠ وانتهى فيه بعد أربع ساعات متواصلة من الكلام عن الإشتراكية والقومية العربية إلى قوله :

((أرى أن نؤسس حزباً ونسميه – البعث العربي –))[1] .

وهكذا ولد أول حزب بعثي على يد هذا الرجل الماسوني فتولى رئاسته وتولى عبد الحليم قدور أمانة سر الفرع السياسي ! ويحيي السوقي أمانة الفرع الثقافي ! وسامي الجندي دور الربط بين الفرعين ؟ !!

ويصف سامي الجندي تلك المجموعة بقوله :

كانوا كالغرباء عن المجتمع .. عصاة تمردوا على كل القيم وخاصموا كل ما تعارف عليه البشر ، كانوا ضد كل الزعماء دون تمييز بين خائن ومخلص وأقل إخلاصاً وأوصوا بإزالتهم حتي يمكن إقامة « دولة المستقبل العربي » وكأن لهم ديناً آخر غير الأديان السماوية أو غير السماوية التي تعارف عليها الناس »[2] .

وهذه الصراحة والجرأة هي التي ميزت المجموعة الأولى من البعثيين ، فقد أعلنوا أفكارهم ومبادئهم من غير مراعاة لمشاعر الجماهير من حولهم كما كان الأرسوزي (أول زعيم بعثي) كثيراً يتحدث عن المسيح لتأثره بكتاب نيتشه ((منشأ التراجيديا اليونانية)) !! كما كان يرى في الجاهلية مثله الأعلى ، ويسميها المرحلة العربية الذهبية

---

(١) البعث سامي الجندي ص ٢٦ .

(٢) سامي الجندي البعث ص ٢٧ .

ولذا تبنى ما كان جاهلياً في الإسلام فقط))[1] .

وكان طبيعياً أن يفشل الأرسوزي في ضم أفراد جدد إلى حزبه ، فلم يزد عدد الأعضاء خلال عامه الأول عن اثنى عشر عضواً ، فقد أعرضت الجماهير المسلمة للمرة الثالثة عن حزب يعلن عداءه صراحة للإسلام ويجاهر تحت راية « البعث العربي » بأن الجاهلية الكافرة هي الفترة الذهبية في تاريخ العرب والمسلمين

وكاد يعلن حزب الأرسوزي فشله وحلّ نفسه حتى صدر بيان في فبراير سنة ١٩٤١ تم توزيعه بين المثقفين في سوريا موقعاً باسم حزب « الإحياء العربي » لم يكتبه الأرسوزي ولم يعلم به ولم يصدره أحداً من أعضاء حزبه ، إنما الذي أصدر البيان كان حزباً آخر كوّنه زميلى نضاله البعثى ، ميشيل عفلق وصلاح البيطار ولذا لم يكن هناك في حقيقة الأمر أى خلافاً جوهرياً بين الحزبين ولكنه اختلاف أفراد واختلاف خطط وطريقة عرض الأفكار ..

وقد تبادل الحزبان النقد العلني والاتهامات حتى انتهى المطاف بانضمام الاثنى عشر لبعث الأرسوزي إلى بعث عفلق والبيطار وكان آخرهم سامي الجندي مؤلف كتاب ((البعث)) فكانت صدمة خيانية كادت تدمر حياة الأرسوزي الذى أصيب بتوتر فى أعصابه حتى بات يعتقد أن كل من حوله خونة وجواسيس .

وعلى أثر ذلك أنهى الأرسوزي حياته السياسية مؤقتاً وأنقطع للتأليف والتدريس .

(١) سامي الجندي البعث ص ٢٨ .

الصليبية والرسالة

الجنين من باريس .. والولادة في بلاد المسلمين

ولد ميشيل عفلق في التاسع من يناير سنة ١٩١٠ في حي الميدان من أحياء دمشق . ونشأ محباً للقراءة وخاصة الأدب والتاريخ وكان لخاله شكري زيدان أثر كبير في ذلك ، وقد شملت قراءات عفلق لزوميات أبي العلاء المعري ، وديوان المتنبي وروايات جرجي زيدان عن التارخ العربي الإسلامي(١) .

وفي عمر الثامنة عشر ذهب عفلق إلى باريس حيث درس في السوربون مادة التاريخ من نوفمبر سنة ١٩٢٨ حتى يوليو سنة ١٩٣٣ . وفي فرنسا أنخرط في ممارسة النشاط الطلابي فانضم إلى جمعيتين مشبوهتين هما « الجمعية العربية السورية » و « جمعية الثقافة العربية » ، وكانت الجمعية الأولى سياسية تعمل تحت ستار المطالبة بالإستقلال والدفاع عن قضية فلسطين والوحدة العربية الشاملة بينما كان ستار الجمعية الأخرى ثقافياً يعتمد أسلوب التثقيف على إلقاء المحاضرات التي تتناول أعمال الأدباء العرب القدامى والتعريف بالأدب والفكر العربي وتذكير العرب بكل طوائفهم بأنهم أبناء ثقافة وحضارة واحدة(٢) .

في فرنسا التقى عفلق بالبيطار وهناك تبلورت أفكارهما وأصبح لها أطار معين يحدثنا عنه عفلق فيقول :

((قبل مجيئى إلى فرنسا لم أكن سوى قومي لكنني اكتشفت والبيطار الإشتراكية في فرنسا وعندما عدنا كنا متلهفين لايصالها إلى الجيل الجديد)) .

كانت باريس مصدر أفكار للقوميين العرب فمنها جاءت الدعوة إلى القومية العربية ومنها خرجت الجمعيات التي تنادي بها ، والمدهش أيضا أن الكثرة الكاثرة التي نادت بالقومية العربية الباريسية هم من النصارى ويشير إلى ذلك الدكتور علي حسن الخربوطلي في كتابه « القومية العربية من الفجر إلى الظهر » فيقول :

((وكان أول من بشر برسالة القومية بين العرب هم أبناء الرعايا أي المسيحيين

---

(١) تحوي هذه الروايات الكثير من الأخطاء التاريخية ، وتتعمد تشوية التاريخ الإسلامي ونسج الوقائع المزيفة التي تسئ إلى الإسلام والمسلمين .

(٢) في سبيل البعث – الجزء الأول ص ٨ .

الذين وجدوا في القومية أداة صالحة ليس فقط للتخلص من السيادة العثمانية ، بل والخروج كذلك من حدود الدائرة الإسلامية إلى وسط أرحب حين يستطيع المسلمون وغير المسلمين من العرب أن يذيبوا أنفسهم في ولاء شامل)) .

وقومي أخر هو **الدكتور يوسف خليل** يشيد بالدور الذي قام به النصارى في الدعوة إلى القومية العربية فيقول في كتابه : « القومية العربية ودور التربية في تحقيقها » فيقول :

((ومما يميز الحركة القومية العربية أيضاً الدور البارز الذي قام به المسيحيون في تدعيمها وتقويتها واختفاء النزعة الدينية تماماً من المفهوم العربي .

ولعل هذا الإتجاه يرجع إلى عدة عوامل : –

((الأول : تحمس المسيحين في الشرق العربي عامة لفكرة القومية العربية ، فقد وجدوا أن هذه الفكرة أشمل من فكرة الجامعة الإسلامية وتنظيمهم كمواطنين تتخطى حاجز الأديان وتذيب التعدد المذهبي والطائفي والعنصري في بوتقه العروبة التي تنتظم العرب جميعاً دون فرق بين مسيحي ومسلم .))

ولكن لماذا فرنسا بالذات دون الدول الأوربية النصرانية الأخرى هي التي تقوم ببعث القومية العربية ؟

يجيب عبد المجيد تراب زمزم على هذا في كتابه « الحرب العراقية الإيرانية – الإسلام والقوميات » بقوله :

((عندما طرحت الأفكار الداعية إلى الوحدة الإسلامية والمحاربة للمستعمرين شكلت خطراً على مصالحهم في العالم الإسلامي فعمدوا إلى إخراج مفهوم القومية العربية الذي حمل لواءه نصراني مسيحي باريسي اسمه نجيب عزوزي من أصل سوري . أسس في عام ١٩٠٥ « رابطة الوطن العربي » وأصدر صحيفة « يقظه الأمة العربية » وكذلك مجلة « الاستقلال العربي » وتوج كل ذلك بأول « مؤتمر قومي عربي » عقد في باريس عام ١٩١٣ ، **إذن فقد هبت ريح القومية العربية من باريس** تقترح بكل بساطة التمييز بين الشعوب المسلمة العربية ، والشعوب المسلمة غير العربية وبعبارة أخرى خرجت الأمة الإسلامية من المكاتب الباريسية مشطوره نصفين)) .

حسب قسمة المبشرين بالقومية الإشتراكية العربية الآتية من باريس والتى حمل عفلق والبيطار مهمة تطبيقها بعقد لقاءات مع الشباب في المقاهي يديرون فيها « دردشات أدبية وفلسفية ووطنية » .

وفي بداية الأربعينات قاما بإنشاء « حلقة شعبية » من بعض الشخصيات ذات الثقافة الغربية كانت النواة لحزب « الإحياء العربي » الذي تحول بعد ذلك إلى حزب « البعث العربي » .

ويصف « عفلق » ميلاد هذا الحزب فيقول : ((جمعنا الشباب وأوضحنا لهم أهدافنا وضرورة تحطيم الحدود بين الأقطار العربية وممارسة الحياد الإيجابي في السياسةالخارجية))[1] .

وكان أول اختبار حقيقى لشعبية « البعث العربي » هو الإنتخابات العامة التي جرت في سوريا في يوليو ١٩٤٣ ، فرشح « عفلق » نفسه فيها وصدر بيان بعثي « عفلقي » يحمل شعار الحزب الذي مازال يردده البعثيون في سوريا والعراق حتى الآن وهو « **أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة** » .

أما الرسالة الخالدة فيعرِّفها ميشيل عفلق بإسهاب غير متجانس ولا مفضي لمعنى واضح يقول :

((إن هذه الأمة لا تعترف بواقعها السيئ وموقفها المنفعل ولا تتنازل عن مرتبتها الأصلية بين الأمم ، بل تصر على أنها هي هي في جوهرها تلك الأمة التي بلغت في أزمان متعددة مختلفة من التاريخ درجة تبليغ رسالتها . فهي إذن بصلتها ببعضها وبماضيها لا تزال واحده ولا تزال فيها الكفاءه لاسترجا ع تلك المرتبة التي فقدتها مؤقتاً فهذه الأمة التي تستيقظ اليوم وتتحفز للنهوض ليست هى نبت اليوم بل هى نفسها من قبل آلاف السنين ميزتها وحدة الأصل والعنصر يوم كانت « الوحدة » هي الرابطة المكينة التي تجمع الأفراد وتطبعهم بطابع واحد وتخلق فيهم نواة واحدة ثم صقلتها وغذتها وحدة اللغة والروح والتاريخ والثقافة . فهذه الأمة التي أفصحت عن نفسها وعن شعورها بالحياة إفصاحاً متعدداً متنوعاً في تشريع حمورابي وشعر الجاهلية ودين محمد وثقافة المأمون ، فيها شعور واحد يهزها في مختلف الأزمان ولها هدف واحد بالرغم من فترات

(١) البعث العربي ودوره في السياسة العربية – ص ٥٠ .

الإنقطاع والإنحراف))[1] .

ولم يكن دين الإسلام في رسالة ميشيل عفلق غير مجرد جزء أو عنصر ثانوي من عناصر الرسالة العربية الخالدة ، يمكن الاستغناء عنه دون تأثير في الرسالة فيقول :

((لقد أفصح الدين في الماضي عن الرسالة العربية التي تقوم على مبادئ إنسانية فهل معنى ذلك بأنه يتعذر على هذه الرسالة أن تكون قومية ؟ وإذا أعتبرناها قومية فكيف فهمها غير العرب فوسعتهم وطبّعتهم بطابعها ؟ وهل الرسالة شئ ينتهى فى وقت ما أم أنها تتجدد وتتكامل مع الحياة ؟ وإذا افترضنا أن مضمونها واحد فما معنى خلود الرسالة ؟ هل هو جمودها أي أنها تحوي أشياء لا تزيد ولا تنقص أم يعني أنها فوق الإشياء ؟

هذه كلها أسئلة بصدد الرسالة العربية ، ويمكننا أن نجيب بأن الرسالة يجب أن تُفْهَم على أنها نزوع واستعداد ، أكثر من كونها أهدافاً معينة محددة)) .

✍

هكذا بدأت الفكرة البعثية تحت دعوى القومية من قلب فرنسا .. حيث حملها من هناك الأرسوزي وعفلق والبيطار لتحقيق أطماع فرنسا في الأمة الإسلامية وزرع سرطانات مميتة في جسدها من أبناء جلدتها الذين يتحدثون لغتها ويسكنون أرضها ..

فبدأ تنفيذ الخطة على محورين متوازيين منفصلين (الأرسوزي – عفلق) من منطلق فكري واحد هو القومية التي تضم شعاب طوائف النصيريين العلويين والدروز والإسماعيلية والصابئة والنصارى واليهود العرب في مواجهة الإسلام والمسلمين .

فافتتح عفلق أول مكتب لحزب البعث العربى الإشتراكى في دمشق سنة ١٩٤٥ ،

وفي يوليو ١٩٤٦ صدرت جريدة البعث اليومية ،

وفي أبريل ١٩٤٧ افتتح المؤتمر التأسيسى الأول للحزب ، والذي أقر فيه دستور الحزب ونظامه الداخلي وانتخب عفلق أميناً عاماً له من مائتي عضو هم حضور المؤتمر المفتوح[2] ليصبح على ساحة الفكر العربي بعثين (بعث الأرسوزي ، وبعث عفلق) .

(١) في سبيل البعث – الجزء الأول – ص ١٦

(٢) النصيرية / ص ١٧٠ .

« بعث » الأرسوزي يُفضل الجاهلية على الإسلام ويراها المرحلة الذهبية للعرب وكان يجاهر بذلك ولا يخفى رفضه للإسلام .

وأما عفلق فلم يعلن رفضه صراحة للإسلام بل حاول أن يظهر الإحترام والتقدير له وأن كان يراه نتاج فكرى عربي في مرحلة من المراحل فيقول :

((إن حركة الإسلام المتمثلة في حياة الرسول الكريم ليست بالنسبة إلى العرب حدثاً تاريخيا فحسب تفسر بالزمان والمكان وبالاسباب والنتائج بل أنها لعمقها وعنفها واتساعها ترتبط ارتباطاً مباشراً بحياة العرب المطلقة ، أي أنها صورة صادقة ورمز كامل خالد لطبيعة النفس العربية وممكناتها الغنية واتجاهها الأصيل))[1] .

ثم يقول : ((ويستطيع أي رجل بها ضاقت قدرته أن يكون مصغراً ضئيلاً لمحمد ما دام ينتسب إلى الأمة التي حشدت كل قواها فأنجبت محمداً))[2] .

((كما أن حياة الرسول وهي ممثلة للنفس العربية في حقيقتها المطلقة لا يمكن أن تعرف بالذهن ، بل بالتجربة الحية))[3] .

أما ميشيل عفلق فقد رأى أن الإسلام كان ثورة لخروج القومية العربية التي بحاجة إلى ثورة مماثلة فيقول : ((وما الإسلام إلا وليد الآلام ، آلام العروبة ، وأن هذه الآلام قد عادت إلى أرض العرب بدرجة من القسوة والعمق لم يعرفها عرب الجاهلية . فما أحراها بأن تبعث فينا ثورة مطهرة مقومة كالتي حمل الإسلام لواءها))[4] .

لكن ليست هي الإسلام ذاته وليس للإسلام دوراً فيها لأنه ثورة سابقة ، أحيلت إلى المعاش ووضعت في المتاحف أما الثورة التي ستغير الواقع وتنهض بالقومية ، فهي تلك التي يبشر بها البعث باعتبار أن نهضة تلك المنطقة يجب أن تكون على أسس قومية بعيده عن قومية الإسلام التي يصفها عفلق في وقاحة بقوله :

((إن القومية الإسلامية والدعوات الطائفية الأخرى كلهم في سلة واحدة مصيرها الفشل كما كان مصير القومية الطاغية المتعصب)) .

---

(١) في سبيل البعث الجزء الأول ص ١٤٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٣ .

(٥) المصدر السابق ص ١٧٩ .

ثم يضيف عفلق :

((وما دام الدين منبعاً فياضاً للروح ، فالعلمانية التي نطلبها للدولة هي التي يحررها الدين من ظروف السياسة وملابساتها ، وتسمح له بأن ينطلق في مجاله الحر في حياة الأفراد والمجتمع وبأن تبعث فيه روحه العميقة الأصلية التي هي شرط من شروط بعث الأمة))(١) .

علمانية تتولى تنقيح السياسة على حد فهمه من الدين لتصبح السياسة بلا دين وبلا ضوابط سماوية متروكة لهوى عفلق وبعثه ، أما الدين الذي تم تنقيحه من السياسة فهو عمل خاص لا يرتبط الإيمان به ، بما يوجبه من عبادات فيقول في ذلك :

((قد لا نُري نصلى مع المصلين أو نصوم مع الصائمين ولكن نؤمن بالله ، ونحن وصلنا إلى هذا الإيمان ولم نبدأ به وكسبناه بالمشقة والألم ، ولم نرثه إرثاً ولا استلمناه تقليداً))(٢) .

ولم يكتف عفلق بهذا البيان الواضح الجلي عن مفهومه المشوه للدين ، إنما هو يريد أن يجعل من هذا المفهوم ميثاقاً للعقل العربي يرفض به كل المفاهيم المخالفة ويدعو للتصدي لها بقسوة وعنف والقضاء التام عليها خاصة تلك التي تجعل للدين سلطاناً على كل حركات وسكنات الفرد فيقول :

((إن هذه الرجعية التي تحمل لواء الدين في يومنا هذا وتتاجر به وتستغله وتحارب كل تحرر باسمه وتُدخله في كل صغيرة وكبيرة لكي تعوق الإنطلاقة الجديدة ، هي أكبر خطر على الدين وهي التي تهدم مجتمعنا لتهدد المجتمع العربي بأن يشوهه الإلحاد ، إذا أننا بمقاومتنا للرجعية الدينية بدون إعتدال وبدون مسايرة وبمواقفنا الجريئة المؤمنة منها ننقذ مجتمعنا العربى من تشويه الإلحاد))(٣) .

ولذا فهو يؤكد لدعاة البعث على ضرورة الحذر وعدم الربط بين مبادئهم الخاصة وبين أصول التطبيق فيقول :

((إن جمهور شعبنا مازال متأخراً ومازال خاضعا لمؤثرات رجال الدين من شتى

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٨ .

المذاهب والطوائف فلو أننا ذهبنا إلى جمهور الشعب ، وليس لنا غنى عنه ، إذ بدونه لا نستطيع تحقيق أي تبديل أساسي في الحياة العربية ؛ لو ذهبنا إليه بأفكار فجة وبأساليب غير محكمة وتصرفنا تصرفات هى أقرب إلى ردود الفعل والنزق والمرض النفسي منها إلى الإيمان بحركة منقذة ، فأخذنا نطعن فى الدين ونتبجح بالكفر ونتحدى شعور الشعب في ما يعتبره هو[1] مقدساً وثميناً ، نكون بدون فائدة وبدون أي مقابل أغلقنا أبواب الشعب في وجه الدعوة وأوجدنا ستاراً كثيفاً بيننا وبينه حتى لا يعود قابلاً أومستعداً لأن يسمع منا شيئاً أو أن يسايرنا في نضالنا ودعوتنا .

صحيح أنه مضلل مخدوع ولكننا لا نستطيع أن نكشف له انخداعه إلا إذا فهمناه وتجاوبنا معه وشاركنا في حياته وعواطفه ومفاهيمه ، فنحن في كل خطوة نخطوها نحوه نستطيع أن نطمع بخطوه من جانبه يأتي بها إلينا ، لذلك يكون المناضل البعثي مهدداً دوماً بالخطر : فهو إن سلك هذا السلوك مهدد بأن يتزمت وأن ترجع إليه عقليته الرجعية[2] التي ثار عليها ، وهو إن سلك سلوكاً آخر معاكساً ، إن شهر السيف على المعتقدات الخاطئة مهدد بأن يصبح سلبيا وأن يخون ما في فكرة البعث من إيجابية))[3]

تلك هي بوضوح سافر أسفار حزب البعث العربي الإشتراكي أوردناها من كتبهم الأصولية التي تولت طباعتها وإصدارها حكومة الرفيق الركن الملهم صدام حسين لتكون مصدراً من مصادر التثقيف الحزبي بعد صدور قرار مكتب الثقافة والاعلام الذي حدد مصادر التثقيف ألا وهي :

كتابات الرفيق القائد المؤسس المناضل ميشيل عفلق ،
كتابات الرفيق أمين سر القطر المناضل صدام حسين ،
قرارات المؤتمرات القطرية والقومية ،
مؤلفات المناضلين البعثيين .

وإجمالاً لعلاقة الصليبية بالبعث العربي يؤكد چورچ أنطونيو فى كتابه « يقظة العرب » أن الدعوات القومية (ومن بينها البعث) ، بدأت سنة ١٨٤٧ بإنشاء جمعية أدبية

---

(١) يؤكد الفكر البعثي العربي على أن رسالته الأولى هي الطعن في الدين والكفر به وأن مقدسات الشعب خاصة بالشعب لا بالبعث

(٢) التي كانت مؤمنة بالله ورسوله وبأن الإسلام دين ودولة .. عقيدة وشريعة .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٨ .

في بيروت تحت رعاية أمريكية »[1]

« وكان من نتيجة التسامح الذى تميز به حكم إبراهيم باشا أيام الدولة العثمانية أن فتح الباب أمام البعثات التبشيرية الغربية ، فأتاح العمل لقوتين إحداهما فرنسية والأخرى أمريكية قدر لهما أن تحتضنا البعث العربى وترعياه » .

وهو ما يترجمه بدقة لورنس الإنجليزى فى كتاب « أعمدة الحكمة السبعة » ص ٧ بقوله :

((لقد كنت مؤمناً بالحركة العربية إيماناً عميقاً ومتأكداً من قبل أن آتى إلى الحجاز أن هذه الفكرة ستمزق تركيا وتقضى على إمبراطوريتها شذر مذر))[2] .

✍

((لقد حقد الصهاينة والماسون على العروبة والإسلام عامة وعلى دولة الخلافة خاصة ، لأنها حالت دون تحقيق هدفهم بشراء أرض فلسطين فعملوا على تشجيع الحركات القومية لتمزيقها))[3] .

((ولذا وضع الغرب أعوانه لترويج الفكر القومى لتمزيق الدول والقوميات الخاضعة لدولة الخلافة الإسلامية لاقتسام تركة الرجل المريض ونتيجة لهذه الدوافع فقد سرت موضة القوميات فى بلادنا ، وتشكلت التنظيمات القومية التالية على أيد غير إسلامية))[4] :

١ - فى عام ١٨٧٤ شكّل النصرانيان العربيان بطرس البستانى وناصف اليازجى - اللذين استثمر المبشرون الأمريكان جهودهما وأمسكاهما زمام الحياة الفكرية فى ذلك العصر - « **جمعية الآداب والعلوم** » .

٢ - وفى عام ١٨٥٠ ألّف اليسوعيون « **الجمعية الشرقية** » بزعامة الأب الفرنسى روبر دنير وأدركوا خطر عدم إشراك المسلمين فى هذه الجمعيات .

٣ - وفى عام ١٨٥٢ أسسوا « **الجمعية العلمية السورية** » التى بلغ عدد أعضائها

---

(١) يقظة العرب / ص ٧١ .

(٢) المصدر السابق / ص ٧١ .

(٣) المذاهب والأفكار المعاصرة / ص ٢٣١ .

(٤) المصدر السابق / ص ٢٢٩ .

١٥٠ عضواً من بينهم عدد كبير من مختلف طوائف العرب والمسلمين واشترك فيها زعماء من مختلف العقائد كالأمير الدرزى محمد أرسلان والأستاذ الماسونى الأعظم حسين بيهم وأحد أبناء بطرس البستانى .

٤ - وفى عام ١٨٧٥ أسس خمسة من الشبان النصارى « **جمعية بيروت العربية** » ، وكلهم من خريجى الكلية البروتستانتية السورية .

٥ - وفى عام ١٨٩٥ تشكلت « **الجمعية العربية** » فى باريس ، ولما انتقلت إلى بيروت صار النصارى الغالبية العظمى فيها .

٦ - وفى عام ١٩٠٤ ألّف نجيب العازورى - نصرانى سورى - « **عصبة الوطن العربى** » على أساس علمانى قوى ، غير أنه حددها فى آسيا مستبعداً عرب المغرب منها ، ويقول الدكتور توفيق برو : إنه كان داعية للدول الغربية : إنكلترا وفرنسا ، وأصدر جريدة الاستقلال العربى ، وتخلى عن منصبه لأسباب غامضة ، وأقام بالقاهرة .

٧ - وفى عام ١٩٠٨ أسس عزيز المصرى « **الجمعية القحطانية** » ، وقد ضمت ضباط عرب فى الجيش العثمانى .

٨ - وفى عام ١٩١١ أسست الماسونية العربية فى باريس جمعية « العربية الفتاة » ، ثم انتقل مركزها إلى بيروت .

٩ - وفى عام ١٩١٢ أنشىء « **حزب اللامركزية فى القاهرة** » ، وهدفه إقامة حكم لا مركزى فى الولايات العربية (لمناهضة الحكم العثمانى الإسلامى فى البلاد) ، ويقول د . محمد أنيس فى كتابه « الدولة العثمانية » : ومن المؤكد أن المعتمد البريطانى كتشنر كان على علاقة طيبة بهذا الحزب .

١٠ - وفى عام ١٩٣٢ أسس أنطون سعادة « **الحزب القومى السورى** » الذى تبنى فكرة فصل الدين عن الدولة ، واعتبار العرب غير السوريين كغيرهم من الأجانب .

١١ - وفى عام ١٩٤٧ أسس ميشيل عفلق وزكى الأرسوزى « **حزب البعث العربى الاشتراكى** » فى سوريا . بعد مائة عام كاملة وبالتمام على تأسيس أول تجمع تنظيمى أقامه الغرب فى بلاد المسلمين لتشتيت جهودهم وتمزيق أمتهم وهو « **جمعية الآداب والعلوم** » التى أسسها بطرس البستانى وناصف اليازجى تحت رعاية المبشرين والأمريكان .



الزعيم والجريمة

في بلدة عراقية صغيرة تدعي « تكريت » ولد في إبريل ١٩٣٧ يتيم الأب فاقد الأمومة[1] . فجاء إلى الحياة ليعيش منذ الصغر في بيت خاله الحاج خير الله طلفاح[2] حتى بلغ سن التعليم دون أن يحظى بدخول المدرسة كأقرانه . فلم تكن الحياة في « تكريت » بالحياة السهلة ، كما لم يكن هناك من يهمه أمر إدخاله المدرسة أو تعليمه القراءة والكتابة .

الضيف الإجباري في بيت خاله كَبُر عمره ولسوء طباعه كثرت مشاكله وأحس بالغربة وإن بداخله طاقة مكبوته من الغضب الذاتي فقرر الفرار من بيت خاله تحت جنح الظلام سيرا على الأقدام حتى وصل إلى بلدة « الفتحة » مع تباشير الصباح حيث يقيم أعمامه الذين لم يسألوا عنه يوماً من الأيام[3] .

وعلى غير ما ظن في أعمامه فإنهم لم يكرموا وفادته ولم يحسنوا استقباله لأسباب غير معلومة وأعادوه إلى « تكريت » ثانية خالي الوفاض إلا من هدية غريبة كانت

---

(١) تزوجت أمه من عمه سعدون التكريتى بعد وفاة والده مباشرة وأقامت مع زوجها الجديد فى قرية « الشويش » التابعة لمنطقة « الفتحة » وكان ذلك الزواج سبباً فى سخط أشقائها عليها ومخاصمتهم لها ولأهل زوجها .

(٢) ولد عام ١٩١٦م في تكريت وينتهي نسبه إلى عشيرة العزة .

- قضى شطراً كبيراً من حياته في الريف مع والده السيد طلفاح مزارعاً في تكريت وأكمل فيها الدراسة الإبتدائية . ثم دخل الكلية العسكرية وتخرج فيها ضابطا في الجيش برتبة « الملازم » عام ١٩٣٨م .
- اشترك في حرب العراق بريطانيا عام ١٩٤١م .
- أحيل إلى التقاعد في أواخر ١٩٤١م ثم اعتقل خمس سنوات متهماً بعلاقته مع الاستعمار .
- بعد قيام ثورة تموز ١٩٥٨م عين مديراً لمعارف بغداد .
- نجا من حبل المشنقة بعد ثلاثة شهور من قيام الانقلاب البعثى .
- بعد انقلاب ١٧ - ٢٠ تموز ١٩٦٨ م عين محافظاً لبغداد ، وفي ١٩٧٣م عين رئيسا للخدمة العامـــة بدرجة وزير .

(٣) أورد إبراهيم نافع فى الأهرام ١٩٩٠/٨/٣١ أن هروب الصبى كان من بيت زوج أمه إلى بيت خاله ونظن أن الأوراق التى حصلنا عليها أكثر توثيقاً ، والخلاف على هذه الواقعة غير ذى قيمة تاريخية .

عبارة عن « مسدس ناري » ، ليس من ذلك الذي نهديه للأطفال ليلعبوا به ، بل كان مسدساً حقيقياً .

ثم أركبوه سيارة لنقل الأفراد دون أن يوصوه بشئ أو يحددوا له الغرض من المسدس الذي حمله معه في رحلة العودة .

خرج الصبي من بيت أشقاء أمه إلى بيت أشقاء أبيه حيث تزوج أحدهم أمه

- خرج الصبي في جوف الليل الموحش هارباً .
- لايملك مالاً أو زاداً .
- الأعمام لم يسعدوا برؤية ابن أخيهم الذي لم يروه من قبل .
- لم يسع أحد منهم لمناقشة ظروف معيشته مع خاله .
- ولا سألوه عن دوافع هربه .
- ولما قرروا إهداءه شيئاً ، كان هذا الشئ « آلة قتل » .
- فماذا أرادوا أن يقولوا له ؟ .
- ما الذي سعوا إلى زرعة في نفس الصغير ؟ .
- وهل تعني هذه الهدية درساً عملياً لأسلوب مواجهة الحياة ؟ .
- أم أن هناك أشخاصاً كان على الصغير أن يتخذ بشأنهم قراراً حتى يرضى عنه أعمامه ؟ .
- أسئلة كثيرة يمكن طرحها أمام هذه الواقعــة الغريبــة والتي لا يوجـد لها تفسير بعيد عن دائرة الجرم والإجرام والجريمة والقتل والثأر وسفك الدماء .

إن الأطفال الذين يشاهدون أفلام العنف يكبرون وقد تشبعت أنفسهم بالقسوة البالغة والتعامل مع الآخرين بعنف يماثل أو يقارب ما شاهدوه في تلك الأفلام فتسهل عليهم الجريمة ، بل تصبح شيئا محببا إلى النفس وتحقق إشباعا معينا لها ، وتصبح صورة إراقة الدماء ضرورية لإشباع النفس الثائرة المتمردة[1] .

---

(١) يبرر طه ياسين رمضان نائب صدام حسين فى مجلس قيادة الثورة حالياً إجرام رئيسه وولى نعمته باعترافه فى كتابه النضالى « صدام حسين الرفيق والأخ والقائد » – ص ٥٣ – قائلاً :

« كلانا ذاق السجن وآلامه منذ بدايات الحياة والشباب ، وكلانا عاش ظروفاً عائلية كانت تدفعه للثورة على الذات » . =

فما الذي يحدث لطفل يملك سلاحاً حقيقياً في ظروف أقل ما توصف به أنها بالغة القسوة ، لا أم ، لا أب ، لا عم ، لا خال ، لا علم ، لا عون ، لا عمل ، لا حنان ، لا حب .

فقط مسدس محشو بعدة طلقات نارية كان أول ضحاياه بعد تسع سنوات كاملة فى (عام ١٩٥٨) سعدون التكريتي شقيق أبيه زوج أمه وأحد أعمامه الذين أهدوه المسدس ، اسقطه مضرجاً في دمائه انتقاماً لخاله الحاج خير الله طلفاح الذي استطاع أن يلحقه بالتعليم الابتدائي في العام التالي للحادث مباشرة بعد أن بلغ العاشرة من عمره عام ١٩٤٧ .

ثم لم يبخل عليه بإلحاقة بالتعليم الثانوي فيما بعد . كان طلفاح يشغل مدير التعليم في بغداد ، وكان قد اشتهر عنه أنه عميل بريطانيا[1] حتى فاحت رائحة علاقتة السرية بالمخابرات الإنجليزية ، وأصبحت على لسان الأطفال والكبار ، فلما نجح انقلاب عبد الكريم قاسم وأطاح بالطاغوت الفاسد تدهورت العلاقات العراقية البريطانية ، واستغل الحاج سعدون التكريتي هذه الظروف حتي يكيد لطلفاح ، فوشى به لدى السلطات التي قامت إثر ذلك بعزل طلفاح عن وظيفته .

وهنا ثارت نفس الصبي وأصدر حكماً غيابياً بالإعدام ضد عمه ، ثم قام هو

= وللحقيقة لم يكن صدام حسين وحده هو المشوه إجتماعياً وأسرياً ، إنما على ما يبدو كان حزب البعث كله بوتقة يصب فيها كل أصحاب العاهات النفسية والاجتماعية فعلى سبيل المثال يشرح البعثى طه ياسين رمضان واصفاً الذين قرر صدام حسين التخلص منهم عند استلام السلطة من أحمد حسن البكر وأرادوا منافسته فيها فيقول :

((لقد حاولوا المستحيل من أجل ألا يصل صدام إلى الموقع الأول فى الحزب والدولة وتشبثوا بكل المبررات التافهة ، غير أن حسم الرفيق صدام حسين وحزمه فى اتخاذ القرارات واستقرائه لدواخل النفس البشرية (أعوذ بالله » كشفهم فاعترفوا بجريمتهم (منافسته على السلطة) ...

وبعد هذه المؤامرة اكتشفنا أى منزلق خطير وأى مستنقع « وسخ » – هكذا نصاً – كان يعيش فيه هؤلاء المتآمرون ، فأحدهم « المتآمر محيى المشهدى » كان يستخدم والده الرجل العجوز سائقاً لديه يأمره بفتح الباب عند النزول من السيارة (وكأنهم لم يروا ذلك من قبل) والآخر « المتآمر غانم عبد الجليل » كان يعتدى بالضرب على والده الرجل العجوز على مرأى ومسمع من الناس أمام الدار))

نقلاً عن كتاب أيام من حياة صدام / ص ٤٨ .

(١) وكان والد حافظ الأسد (سليمان الأسد) عميلا لفرنسا ، كتتاب النصيرية ص ١٨٧ .

بتنفيذ هذا الحكم ، ليؤكد لأشقاء أبيه الذى لم يره أنه قد وعى الدرس العدائي بينها ، لكن أوراق الملف لم تفحص أبداً عن سبب هذا العداء .

انضم الصبي القاتل إلى حزب البعث وهو مازال طالباً في المدرسة الثانوية « بالكرخ » وبعد انضمامه بفترة قصيرة اختير ضمن المجموعة[1] التي قامت بالمحاولة الفاشلة لقتل عبد الكريم قاسم في ٧ / ١٠ / ١٩٥٩ ولم يكن قد بلغ الثانية والعشرين من عمره وكانت المؤهلات التي دفعت القيادة إلى اختياره رغم حداثه عهده بالبعث هي « قدرته على استعمال السلاح » ولذا كانت المهمة المسندة إليه بالتحديد هى حماية ظهر رفاقة الذين سيقومون بإطلاق النار على قاسم وتأمين انسحابهم من موقع الجريمة .

وعند تنفيذ العملية لم يستطع الصبي السيطرة على نفسه والسلاح الصغير في راحة يده وبالقرب منه الضحية التي يراد قتلها ، فنسي التعليمات تماماً ولم يستطع كبت رغبته الدموية المحمومة فأطلق النار بعنف وبلاشعور على سيارة قاسم ولم يكن مكلفاً بذلك ، فكشف زملاءه في مواقعهم ليسقط منهم واحد مضرج في دمائه ويقبض على الباقين واستطاع هو وآخر الفرار من موقع الجريمة وقد أصابته رصاصة في ساقه ، فأوقف سيارة « تاكسي » تحت تهديد نفس السلاح وقتل سائقها ، ثم فر هارباً إلى سوريا ومن سوريا إلى مصر ، حاملاً وسام انفراده من بين أفراد مجموعة الاغتيال ، الذي ارتكب جريمة قتل لم يكن مطلوباً منه ارتكابها خاصة بعد أن فشلت الخطة في خطواتها الأولي عندما تعطلت السيارة المكلفة باعتراض سيارة قاسم وتردد البعثي المكلف بإلقاء القنبلة في إلقائها ، التزاماً بالتعليمات وبخطوات التنفيذ .

وصل البعثي الهارب إلى مصر في يناير ١٩٦٠ ، وفُتحت له الأبواب البعثية المدعومة بالفكر النضالي الناصري القومي العربي الإشتراكي في مصر ليلتحق بالسنة النهائية بمدرسة قصر النيل الثانوية الخاصة وينجح ويلتحق بكلية الحقوق جامعة القاهرة ، مقيماً « بڤيلا » بحي الدقي وتكريماً لجريمته البعثية خصصتها له حكومة ناصر ليعيش فيها عيشة البذخ ويقضي أوقاته في ارتياد المقاهي وزيارة الأماكن الأثرية ، كما أتيحت له حرية التنقل بين القاهرة وبيروت حيث كانت هناك القيادة القومية

---

(١) تكونت هذه المجموعة من أحمد طه العزوز ، سليم عيسى الزيبق ، سمير عزيز النجم (سفير العراق السابق فى مصر) ، حاتم حمدان العراوى ، عبد الكريم الشيخلى (أعدمه صدام بعد ذلك) ، عبد الوهاب الغريرى (أعدمه صدام بعد ذلك) .

السرية لحزب البعث العربي الاشتراكي .

فلما أذاع راديو القاهرة نبأ الإطاحة بقاسم في ٨ / ٢ / ١٩٦٣ ، وكان البعث العراقي مشاركاً في هذا الإنقلاب ، لم ينتظر « صدام حسين » استكمال دراستة في كلية حقوق القاهرة ، وسافر مسرعاً إلى بغداد ليأخذ نصيبه من التركة .

لكن القيادة القُطْرية في العراق لم تستقبله بالحماس الذي انتظره ، واكتفوا بأن يحفظوا له عضويته فى الحزب .





البعث العراقي

كانت العراق دائماً مهداً للأفكار الشعوبية والفتن ، فلقد عرف التاريخ الإسلامي العراق كبؤرة للتقلبات العنيفة والحركات الباطنية والسرية .

كان العراق محكوماً بحكم ملكي على رأسه « فيصل » سليل الشريف حسين الذي تهاون فى الوطن لصالح الإنجليز بعد ما منوه ووعدوه بالخلافة العربية ولكن ما منوه وما وعدوه إلا غروراً .

وبعد ستة أشهر فقط من قيام الوحدة بين مصر وسوريا ، حدث الإنقلاب العسكري في العراق الذي أطاح بفيصل في ١٤ يوليو ١٩٥٨ بقيادة العميد ركن عبد الكريم قاسم فأعلن الجمهورية وتولى رئاستها ورئاسة وزرائها ووزارة دفاعها ومنح نائبه وصديقه وساعده الأيمن في الإنقلاب عبد السلام عارف نيابة رئيس الجمهورية ونيابة رئيس الوزراء ووزارة الداخلية ، وأفسح الباب على مصراعيه أمام البعث لا لنشر أفكاره الهدامة وحسب ، بل وللمشاركة في الحكم والسلطة أيضاً بتعيين (٦) وزراء بعثيين دفعة واحدة من بين الوزارات العشر الباقية ، وهم :

فؤاد الركابي (أمين السر القطري لحزب البعث في العراق) وزيراً للإعمار ، **صديق شنشل** وزير للإعلام ، **ناجي طالب** وزيراً للشئون الاجتماعية ، **عبد الجبار الجومرد** وزيراً للخارجية ، **صابر عمر** وزيراً للتربية ، **محمد حديد** وزيراً للمالية(١) وقد اتفقوا جميعا مع عارف في اتجاههم الفكري وتأييدهم للوحدة المصرية السورية بحماس بلغ إلى حد سعيهم لضم العراق إلى هذه الوحدة ، أما قاسم فظل متردداً غير قادر على اتخاذ موقف واضح ، هل هو مع الوحدة أم لا .

ووجد عبد الناصر فى تدعيم عبد السلام عارف ورفاقه البعثيين الستة وأستاذهم عفلق تدعيماً لزعامته هو شخصياً وامتداداً لسلطانه داخل العراق فأصدر أوامره إلى وسائل الإعلام بإيغار صدر « قاسم » ضد « عارف » بدعم الأخير إعلامياً والإشادة به

(١) قدم الستة استقالتهم لقاسم بعد إصدار حكم بإعدام عارف ، وكانوا جميعاً على علاقة وطيدة بعبد الناصر الزعيم السياسي للقومية العربية والذي احتضن صدام حسين الهارب من حكم الاعدام بعد فشل محاولة قتل قاسم .

ومحاولة إظهاره بأنه البطل الذى فجر ثورة العراق وأطاح بالحكم الملكى وكان هو المحرك والمخطط والمدبر لهذه الثورة وأن قاسم لم يكن سوى واجهة لهذه الثورة .

وتمادت الصحف المصرية فى هذه الأكاذيب حتى قالت صراحة أن قاسم ليس إلا صورة من محمد نجيب وما عارف إلا صورة من جمال عبد الناصر زعيم الثورة ، وأن قاسم ليس سوى واجهة وأن عليه أن يرحل ويختفى كما حدث مع محمد نجيب .

وبدأ عارف يتصرف مع قاسم بناء على ما سمعه وصدّقه من الإعلام المصري ، فبدأ يعامل زملاءه في الجيش بتعال ، ويتعمد جرح مشاعرهم وأحس أنه أسمى منهم وأنهم أقل منه مرتبة ، وأخذ يطوف أرجاء العراق يلقي الخطب والشعارات منادياً بالوحدة العربية والقومية العربية رفعاً شعارات ناصر مواربه ..

بل تمادي إلى أبعد من ذلك وسافر (بدون علم قاسم) إلى سوريا واجتمع مع عبد الناصر معرباً له عن رغبة العراق في الانضمام إلى الوحدة .

أثارت تلك التصرفات قاسم وأدرك أن عارف يهدد مركزه وأن الذين يدعمون عارف إنما هم أعدائه الذين يريدون التخلص منه وانتزاع السلطة منه وإعطائها لعارف ، فقرر سرعة القضاء عليه وأصدر أمراً في ١١ / ٩ بعزله من منصبه كنائب للقائد الأعلى للقوات المسلحة وذلك حتي يضمن عزلة عن الجيش الذي أصبح مصدراً للسلطات !!

وبعد عشرين يوماً أخرى وبالتحديد في ٣٠ سبتمبر أصدر قاسم أمراً ثانيا بعزل عارف من منصب نائب رئيس الوزراء وعرض عليه منصب سفير في جمهورية ألمانيا الاتحادية !! ليقذف به بعيداً عن العراق فرفض عارف إبتلاع الطعم ، وبعد الحاح من العسكريين إقتنع بأن يسافر إلى أوربا ثلاثة أسابيع لتخفيف حدة التوتر ، وفي اليوم التالي ودّعه قاسم والوزراء في المطار ..

لكن عارف لم يسافر إلى بون بل تجول في أوربا ثم عاد إلى بغداد في ٥٨/١٢/٤ مفضلاً البقاء في العراق حتى يستطيع ترتيب أوراقه . بالقرب من حجرة العمليات التي شهدت من قبل الإعداد والتخطيط لانقلاب قاسم ضد الملك السابق ، فاضطر قاسم « الشيوعي التقدمي الثوري » إلى إصدار أوامره بالقبض على عارف القومي التقدمي الناصري الثوري ، في اليوم الثاني مباشرة لعودته من رحلته موجهاً

إليه التهمة السياسية العربية الخالدة : « التآمر ضد مصلحة البلاد ومحاولة قلب نظام الحكم » .

وبعد أيام معدودة قُدِّم عارف إلى المحكمة العسكرية العليا فى ٢٧ ديسمبر لتصدر المحكمة الموقرة حكمها بإعدام عبد السلام عارف لأنه :

(١) حاول اغتيال قاسم في ١١ / ١٠ / ٥٨ .

(٢) حرض الشعب على الثورة في ٤ ، ٥ / ١٢ / ٥٨ . بعد عودته من السفر مباشرة .

(٣) عصيانه أوامر السلطة بعودته إلى البلاد دون موافقة مسبقه من رؤسائه .

ولكن ربما لم ينس قاسم أن عارف رفيق السلاح أو أن حكم الاعدام أكبر من حقيقة إتهامات عارف فلم يصدق على حكم الأعدام ولبث عارف في السجن ثلاث سنوات قبل أن يخلي سبيله في خريف ١٩٦١ بعد قيام حركة التمرد في سورية التي أدت إلى انفصال سوريا عن مصر وانتهاء حكم الجمهورية العربية المتحدة ، ثم سمح له بأداء فريضة الحج عام ١٩٦٢ .

وهكذا قضى قاسم على عارف تماماً خلال شهرين لا أكثر .. وكان على قاسم أن يبحث عن بديل سياسي يركن إليه داخل البلاد ، فلم يجد غير الشيوعيين بعد أن كان البعث قد تورط مع عبد الناصر حليف الوحدة العربية في مؤامرة تضخيم عارف والسعي لضم العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة .

كما زاد اعتماده على الشيوعيين وتقريبهم إليه بعد المحاولة الفاشلة التي قام بها العقيد عبد الوهاب الشواف لإقصاء قاسم بمساعدة مصرية سورية .. وإعلانه نبأ الإنقلاب من إذاعة الموصل التي ساعدت مصر في تأسيسها . ولكن طائرات قاسم حسمت الموقف وقامت بقصف مقر قيادة العقيد الشواف في الموصل وأصيب الشواف نفسه ومات بعد نقله إلى المستشفى **فاجتاحت القوات العراقية مدينة الموصل التي هي جزء منها كما إجتاحت بالأمس القريب أرض الكويت وهي دولة مستقلة** فاستباحوا حرمة المدينة وأراقوا فيها الدماء وانتهكوا الأعراض وعمَّ الخراب أرجاء الأرض وشكِّلت محاكم وصدرت أحكام الاعدام بالجملة ونفذت على الفور وعلِّقت أجساد الضحايا على أعمدة الكهرباء . وعاشت الموصل كما عاشت الكويت أمس تماماً تماماً ، تحت نير البطش والفوضى التي دمرت كل شئ فيها .. أربعة أيام كاملة

سقط فيها عشرات الأبرياء من الذين لا ذنب لهم ولا علم بمطامع وطغيان الزعماء والقادة فذهبوا فريسة للرغبة المحمومة في القتل والشهوة العارمة لسفك الدماء ..

✍

وجد البعث العراقي نفسه منبوذاً مبعداً عن الحكم بعد جريمة « الشواف .. » وعندما يصبح البعث هذا حاله فإنه يلجأ إلى أسلوب الخيانة والتآمر وسفك الدماء وبالفعل وضعت القيادة البعثية خطة عاجلة لإهدار دم عبد الكريم قاسم الذي كان بالأمس القريب صديقهم الحميم .. فتشكلت لجنة لبحث خطوات التنفيذ ضمت أياد سعيد ثابت وعبد الله الركابي وفؤاد الركابي « أمين سر القطر » وشاب انضم حديثاً للحزب مازال طالباً في المرحلة الثانوية له خبرة في استخدام السلاح .

واعتمدت العملية على اعتراض سيارة قاسم في الطريق ثم إطلاق النار عليها من جهة واحدة .

وفي ٧ أكتوبر قامت المجموعة المكلفة بالاغتيال بتنفيذ عمليتها القذرة فنجا قاسم وقُتل سائقه وألقى القبض على بعض أفراد العملية البعثية وهرب البعض الآخر .

واعتبر الركابي أمين سر القطر البعثي في العراق :

((أن هذه العملية لم تكن فقط محاولة إغتيال بل أنها خطة ثورية تهدف لإسقاط نظام قاسم وإقامة نظام قومي تقدمي في العراق))[١] .

وما كانت المواقف النبيلة من سمات حزب البعث أبداً ، فقد قرروا على الفور إصدار بيان باسم القيادة القومية في سوريا شجبوا فيه وأدانوا بكل شدة أسلوب الإغتيال ونفى كذباً وجبناً أن يكون الحزب هو الذي دبر هذه العملية لكنه أكد على أن جرائم قاسم في شعبه هي التي أدت إلى قيام بعض الشباب البعثيين بهذه العملية ..

ويأتي هذا الاعتراف بالضرورة الحتمية تحت ضغط الواقع فالذين تم القبض عليهم قد اعترفوا ولم يعد هناك مجالاً للإنكار أو الكذب ولأن قيادات البعث يعلمون جيداً أن هذه المحاولة كفيلة بأن تجعل قاسم يثور على البعث بل ويقضي عليه تماماً ، وماحدث في الموصل لم تجف دمائه بعد ، وخوف البعث من تكراره مازال بالضرورة متجسداً فلم يكن هناك بُد من التضحية بأكبر الخراف ، فداء لسلامتهم من بطش عبد الكريم قاسم

(١) حزب البعث العربي الاشتراكي ودوره في السياسة العربية ص ٢٤٠ .

قبل أن يبدأ في تنفيذ خطته بجث الحزب من جذوره ، فعقدوا مؤتمرهم القومي الرابع (أغسطس ١٩٦٠) وقرروا فصل فؤاد الركابي من قيادة الحزب بالعراق وتعيين أمين سر جديد للقطر بدلاً منه هو طالب حسين شبيب كشخص مقبول لدى القيادة السياسية الحاكمة بالعراق .. ولكن شبيب لم يستمر في منصبه هذا وقتاً طويلاً لأنه أصلاً لم يكن مرشحاً لهذا المنصب وتم انتخاب علي صالح السعدي أميناً للسر بدلاً منه ، فأعلنت إذاعة دمشق قرار القيادة القومية للحزب بانفصال القيادة القطرية بالعراق عنها ، قاصدة إحراجهم وإضعافهم أمام عبد السلام عارف عام ١٩٦٣ .. كما عزَّ على شبيب أن يحرم من هذا المنصب السامي دون جريرة أو ذنب فلم يستسلم لذلك وسعى إلى الحصول على تأييد العسكريين من الجناح اليميني داخل الحزب بمعاونة من الرفيق أحمد حسن البكر .

ودارت معركة بين فريق شبيب وفريق علي صالح السعدي وكانت نتيجة المؤتمر القطري الثالث الذي عقد في سبتمبر ١٩٦٣ مخيبة لآمال فريق شبيب والبكر بانتخاب أحد رجال السعدي وهو عبد المجيد حمدي أميناً لسر القطر .

ولم تكن هذه النتيجة نهاية المعركة ولا حتى حسماً لها لأن شبيب لم يستسلم لها ونجح في صنع جبهة منشقة عقد بها مؤتمراً قطرياً استثنائياً في ١١ نوفمبر ١٩٦٣ بعد شهرين فقط من المؤتمر القطري السابق .. وقد استعد شبيب ورجاله من العسكريين لمعركة فاصلة تحسم هذا الصراع الذي استمر شهوراً داخل الحزب .

وكما هي عادة العسكريين عندما تضيق أمامهم المسالك يكون العنف والتزوير هو المخرج الأقرب من الأزمة فاستعملوا الوسيلتين وتم لهم ما أرادوا ، فنجح أنصار شبيب وعلى رأسهم أحمد حسن البكر وكانت نتيجة المؤتمر الاستثنائي مخالفة تماماً لنتيجة مؤتمر سبتمبر .

مؤتمر سبتمبر ١٩٦٣	المؤتمر الاستثنائي نوفمبر ١٩٦٣	
– حمدي عبد المجيد (أمين سر)	– أحمد حسن البكر	(عسكري)
هاني الفكيكي	عبد الستار عبد اللطيف	(عسكري)
أبو طالب الهاشمي	محمد المهداوي	(عسكري)
حازم جواد	– صالح مهدي غماش	(عسكري)
عبد الحميد خلخال	منذر الونداوي	(عسكري)
عدنان القصاب	طاهر يحيى	(عسكري)

مؤتمر سبتمبر ١٩٦٣	المؤتمر الاستثنائي نوفمبر ١٩٦٣
على صالح السعدي	على عبد الكريم
محسن الشيخ راضي	فائق البزاز
	طارق عزيز[١]
	عبد الستار الدوري
	حازم جواد
	فؤاد شاكر مصطفى
	طالب حسين شبيب
	كريم محمود شنتاف
	سالم سلطان
	حسن حاج دادي

ولضمان استمرار لعبة الكراسي بين قيادات البعث تحت قيادة الصليبي ميشيل عفلق تمخض المؤتمر القومي الثالث (١٩٦٣) عن اختيار اثنين من جبهة السعدي هما حمدي عبد المجيد ومحسن الشيخ راضي واثنين من جبهة شبيب هما أحمد حسن البكر وصالح مهدي غماش[٢] ..

ولكن المهزلة لم يكن لها أي قواعد مقبولة .. فلم تشفع للسعدي عضويته في القيادة القومية للحزب .. وصدر قرار دموي صارم في اليوم الثاني للمؤتمر الاستثنائي بشحن السعدي وجميع مؤيديه في طائرة كانت معدة من قبل ودون أن يعطوا فرصة يودعوا فيها ذويهم أو يحزموا فيها أمتعتهم ونفيهم لا إلى سوريا كما يمكن أن يتصور العقل ، إنما إلى أسبانيا مباشرة مجردين من كل شئ حتى ملابسهم ..!!

وفي يوم ١٣ نوفمبر ١٩٦٣ وصل عفلق إلى العراق وبصحبته أربعة من أعضاء القيادة القومية ، معرباً عن ارتياحه لما حدث من اليمينيين ضد تلاميذه اليساريين .

وعلى الفور أوفد عفلق وفداً برئاسة شبيب وأربعة أخرين من البعث وفي حراسة ضابطين إلي بيروت في مهمة سرية دون المرور بقيادة الحزب القومية في سوريا .

ويرى الأستاذ عبد المجيد الزمزمي أن التعليل الوحيد والمقبول لإرسال عفلق

(١) يشغل الآن منصب وزير الخارجية .

(٢) وضعت علامة (-) أمام الأسماء التى تم اختيارها فى المؤتمرين داخل جدول المقارنة السالف .

لهؤلاء البعثيين إلى بيروت في هذا التوقيت هو الرجوع إلى قيادة سرية بعثية في بيروت لعرض نتائج المؤتمر القومي الأخير عليها .

لم تكن الصراعات والإنشقاقات المتعاقبة والتقلبات العنيفة قاصرة على القيادة القطرية بل كانت موجودة داخل القيادة القومية أيضاً .

فقد أسفر المؤتمر القومي الذي عقد في دمشق في الفترة الواقعة بين ١٢ ، ١٨ فبراير ١٩٦٤ عن عدة مفاجآت كان أولها إعادة تشكيل القيادة القومية للحزب بعد تنحية كل العراقيين منها فيما عدا أحمد حسن البكر .

المؤتمر القومي السادس ١٩٦٣		المؤتمر القومي السابع ١٩٦٤	
* ميشيل عفلق	(الأمين العام)	* ميشيل عفلق	(الأمين العام)
* أمين الحافظ	(سوري)	* أمين الحافظ	(سوري)
* صلاح جديد	(سوري)	* صلاح جديد	(سوري)
حمود الصوفي	(سوري)	محمد عمران	(سوري)
– على صاللح السعدي	(عراقي)	منصور الأطرش	(سوري)
– حمدي عبد المجيد	(عراقي)	شبلي العيسمي	(سوري)
– محسن الشيخ راضي	(عراقي)	* أحمد حسن البكر	(عراقي)
• أحمد حسن البكر	(عراقي)	* جبران مجدلاني	(لبناني)
• صالح مهدي عماش	(عراقي)	* خالد العلي	(لبناني)
* جبران مجدلاني	(لبناني)	عبد المجيد الرافعي	(لبناني)
* خالد العلي	(لبناني)	علي الخليل	(لبناني)
* منيف الرزاز	(أردني)	* منيف الرزاز	(أردني)
عبد المحسن أبو ميزر	(زردني)	علي غنام	(سعودي)

(–) أعضاء المؤتمر القطري العراقي في سبتمبر ١٩٦٣ (يسار)

(•) أعضاء المؤتمر القطري الاستثنائي في نوفمبر ١٩٦٣ (يمين)

(*) أعضاء في المؤتمرين القوميين السادس ١٩٦٣ والسابع ١٩٦٤ .

● أما المفاجأة الثانية التي مازال صداها يتردد إلى الآن فكانت قيام عفلق بحل القيادة القطرية بالعراق وتعيين قيادة قطرية جديدة بدلاً منها ، مكونة من سبعة أعضاء[1] على رأسهم صدام حسين الذي لم يتعد عمره (في ذلك الوقت) سبعة وعشرين عاماً والذي لم يمض على انضمامه للحزب أكثر من ست سنوات ولا يملك من المؤهلات الحزبية التي يمكن أن ترشحه لمثل هذا المنصب غير قدرته على إطلاق الرصاص والقتل وسفك الدماء .

● **لماذا أختار عفلق صدام حسين ؟**

سؤال مهم للغاية ولكن عفلق وحده هو الذي كان يملك الاجابة عليه ولم يفعل فقد مات العام قبل الماضي وهو محتفظ به لنفسه .

ويعزى بعض الذين اهتموا بتاريخ حزب البعث ترشيح عفلق لصدام إلى أن ذلك قد يكون بقرار من القيادة القومية في سوريا أو لبنان . ويؤكد هذه الفرضية جوهر البعث الذي يتشكل بالأحرى كجمعية سرية لا كحزب سياسي ، كما تؤكد قراءة صفحات التاريخ السرية .

● **لماذا إذن هذا الاختيار ؟**

((السبب الذي يقدمه عموماً المراقبون المحايدون يتلخص في أن أعضاء القيادة كان يتم اختيارهم لخبرتهم كمصارعين . وبعبارة أخرى : بما أن محاولة دفع النظام العراقي نحو اليمين قد منيت بالفشل فقد اختير صدام لتقويم إدارة الحزب وإصلاحها .. وحيث أنه كان حالة شاذة في الحزب ، بسبب ضحالة رصيده الثقافي ، وكان « العنف » وسيلته الوحيدة . ومن العبث أن ننتظر من زملائه سلوكاً أفضل . فالحق أنه كان لعماش وحردان التكريتي خبرة طويلة كعسكريين كانا في السلطة خلال الفترة الدموية (من شباط (فبراير) إلى تشرين الثاني (سبتمبر) ١٩٦٣) وكان « شنتاف » أيضاً واحداً من العقول المدبرة لمحاولة اغتيال قاسم عام ١٩٥٩ . و« عزوز » كان أحد أفراد مجموعة الإغتيال هذه وهو عميل جاهز دائماً مستعد لتقديم خدماته مثله مثل صدام حسين .

---

(١) هم عبد الخالق السامرائي ، عبد الكريم الشيشخلي ، صالح مهدي عماش ، طه الجرزاوي ، صلاح عمر العلي ، عزت مصطفى ، عبد الله سلوم .

يبقى ميزة واحدة لصدام على كل هؤلاء الذين تساووا معه في مؤهلات الدم والإغتيالات والعنف وهي « إن عنف صدام كان مصحوباً بالجهل ، وهو مؤهل أكسبه المركز الأول في الحزب))[1] .

وفي ضوء هذا الافتراض نسأل مرة ثانية :

- **من أختار صدام حسين ؟**
- **هل هو البعث السري الأعلى في بيروت ؟**

هذا محتمل لأن ثمة ثلاث سنوات في حياة صدام قضاها بالقاهرة تحت ستار إستكمال دراسة الثانوية ثم إلتحاقه بكلية حقوق القاهرة كان خلالها دائم السفر إلى لبنان ثم العودة .. وتبدو هذه الفترة مناسبة أكثر من سواها لأن يكون تم إعداده لأداء مثل هذا الدور ، وتجدر الإشارة إلى أن الشيخلي كان قد قدم على أنه أمين سر الحزب على رأس فريق وهمي[2] والحقيقة أن الشيخلي كان يومئذ معاون عسكري في السفارة العراقية في لبنان .

- **إذن هل ينبغي أن نفهم أحد الاحتمالات التالية :**

أولاً : أن شبيب ورفاقه الأربعة موضع ثقة عفلق والضابطين العراقين اللذين رافقوهم ، كانوا قد ذهبوا إلى بيروت يوم ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) لمقابلة الشيخلي ؟

ثانياً : أن صدام حسين كان يُعَد فعلاً في بيروت من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٣ حيث ارتقى وازداد أهمية في حاشية الشيخلي[3] .

ثالثاً : أن صدام لم يخرج من السجن ولم يعين على رأس الحزب إلا بفضل الشيخلي .

ومع صدام احتدمت الصراعات الداخلية في الحزب وتطورت إلى حد الانفصال

---

(١) الحرب العراقية الإيرانية الإسلام والقوميات / ص ٨٢ .

(٢) أدعى بعض الكتاب البعثيين أن الشيخلي هو الذي عين في ١٩٦٤ أميناً لسر القطر وأن صدام كان مجرد عضو بسيط في القيادة .

(٣) شغل عبد الكريم الشيخلي منصب وزير الخارجية لسنوات ، ثم سفيراً لبلاده فى الأمم المتحدة ، حتى استدعاه صدام حسين فى أول أبريل ١٩٨٠ ليعلن نبأ إعدامه فى منتصف الشهر .

إلى بعث سورى وبعث عراقي ، يتوازى مع الصراع بين المدنيين العسكريين أو بين اليمينين واليساريين ..

ومع تطور الصراعات وتراكمها وارتفاع حدة الخصومات بلا حسم فيها فقد عفلق السيطرة على حزبه تماماً وأصبح لا حول له ولا قوة حائراً بين تلاميذه ومريديه حتى أطاح طوفان التغيرات السريعة المتلاحقة به وخلعه بلا رحمة عن رئاسة الحزب بعد ربع قرن من النضال البعثي في مؤتمر مايو ١٩٦٥ الذي عقد في دمشق ، ثم تبعه قرار آخر من نفس القيادة البعثية الجديدة في سوريا في ٢٣ فبراير ١٩٦٦ بنفي عفلق والبيطار وأمين حافظ بعد فصلهم من الحزب وهذا ما يعرف عند بعث العراق بالردة الشباطية (نسبة إلى شهر شباط « فبراير ») . والتي يصفها التقرير المركزي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن بالعراق والمنعقد في يناير ١٩٧٤ بقوله :

((لم يكن الصراع بين الحزب والمرتدين الشباطيين متكافئاً فلقد كان للشباطيين دولة يستندون إليها ويسخرونها لأغراضهم .. أما الحزب فلم يكن له سند غير الجماهير الكادحة ومناضليه الفقراء في أقصى الظروف . وبينما كان الانشقاقيون يغرقون تنظيمهم والشارع بمطبوعاتهم الأنيقة التي تتولاها جهات رسمية معينة ويمتلكون كل وسائل العمل)) .

وبعد عودة البعثيين إلى حكم العراق عام ١٩٦٨ عقد مؤتمر في نفس العام في بيروت وكانت أغلبية الحضور من العراق وتم عودة عفلق إلى الحزب ولكن فرع العراق فقط !! ليبدأ الصراع بين البعثيين بصورة جديدة وعلى مستوى أعلى ، بعد أن سيطر بعث سوريا على سوريا ، وبعث العراق على العراق ، وأشعل بعث لبنان في لبنان النار .

سقوط بغداد

جاء طغاة التتار إليها حاملين الدمار ، ناشرين الفوضى ، فلطخت جدار المدينة الدماء ، وسدت طرقاتها الجثث .

ساد الصمت المدينة وعصفت في جنباتها رياح الموت .

لم يعد لأهلها صوت ولا ضجيج ، خفقت الأنفاس والعيون المرتعشة تنظر في ذعر إلى من يحملون العار إليها ، وينثرونه على قبابها ومآذنها . التي لم تعد تردد النداء الخالد الله أكبر - الله أكبر .

لم يعد يسمع في المدينة غير عاش القائد .. عاش الملهم .. هم في المذياع يصرخ المذيع المأجور .. عاش الزعيم أبد الدهر لينشر علينا حمايته ويظلنا بعدله .. ثم يعلو صراخه « تباً لكل مخالف .. سحقاً لكل معارض ، تلك الزمرة العميلة التي تهدد السكون المخيم على الجماهير وتسعى لحرمانها من لذة الصمت الرائعة ...

تلك الزمرة الخائنة التي لا تؤمن بحكمة الرفيق العظيم .. حسناً فليتحملوا نتيجة كفرانهم ، فإن مصيرهم جحيم الدنيا والذي أعده الشعب لأعدائه المتمردين الخارجين عن الجموع السائرة ولا تدري الى أين المسير ؟!

الزعيم تملأ صورته التلفاز ، يطاردنا صوته في المذياع ، تلاحقنا عيونه في الشوارع ، تظلنا أينما سرنا يداه .. قدرنا أن تلحقنا أنفاسه صبح مساء ، فلا نتنفس غير أنفاسه ولا نسمع غير كلامه ولا نري غير صورته ولا نهتف إلا باسمه .

واستجابة للمصالح الذاتية لقيادات حزب البعث قرروا وضع أيديهم في يد عبد السلام عارف القائد المعزول وبعض القوي الأخري الكارهة لعبدالكريم قاسم للتخلص من نظامه حتي أطيح به عام ١٩٦٣.

وتولي عبد السلام عارف زمام الأمور في العراق بعد انقلاب ١٩٦٣ حتي دانت له العراق ، ثم بدأ في تنفيذ خطته للتخلص من البعث الذي أغرق بغداد في حمامات الدماء باغتياله للشيوعيين المعارضين له وتصفية أنصار عبد الكريم قاسم ومطاردة الحكم البعثي الذي ابتليت به العراق بعد الإطاحة بقاسم .

كان البعث قد سعي من أول يوم للانقلاب ، إلى الإنفراد بالحكم والانتقام من

خصومه .. ولكن عبد السلام عارف ظل ضابطاً لأعصابه ومحافظاً على توازن القوي التي حوله حتي صباح يوم الأثنين ١٨ نوفمبر حيث استيقظ الشعب العراقي على بيان رئيس الجمهورية ورئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة معلناً فيه :

((أيها الشعب العراقي العظيم . . أيها المواطنون يا أبناء العروبة والإسلام .. إن ما قام به العابثون الشعوبيون وسفاحو الحرس اللا قومي من اعتداء علي الحريات وانتهاك للحرمات ومخالفة للقانون وإضرار عام للدولة والشعب والأمة وآخرها التمرد المسلح يوم ١٣ نوفمبر ١٩٦٢ حتى أصبح أمراً لا يطاق ويندي له الجبين ، بل وأصبحت الحالة تنذر بالخطر الجسيم على مستقبل هذا الشعب الذي هو جزء لايتجزأ من أمته العربية ، فتحملنا صبرا على المكاره والأيام تجنبا لإراقة الدماء وحرصاً علي وحدة هذا الشعب النبيل تيمناً بقوله تعالى : « ادفع بالتي هي أحسن » ولكننا كلما زدنا صبراً وإيماناً إزداد العابثون والشعوبيون وأقزام الحرس اللاقومي تعنتا واستنكاراً وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم فبلغ السيل الزبي ونادي الشعب جيشه وقواته المسلحة فلبي نداءه وتلاحمت القوي الخيرة لانقاذ هذا الشعب العظيم من عبث العابثين وخيانة الخائنين من شعوبيين وانتهازيين)) .

ورقصت العراق كلها طرباً بهذا البيان وخرجت الجماهير تهتف بالموت للبعث وقيادته .. وتسابقت الاقتراحات فيما بين إعدامهم شنقاً أو تعليقهم في الميادين العامة أو طردهم خارج البلاد .

ولكن البعث لم يستسلم للهزيمة وعندما لا تنفع الحيلة ينفع الغدر والقتل غيلة .. فاجتمعوا تحت الأرض حيث يعششون دائما في كل مكان ووضعوا خطة عاجلة لاغتيال عبد السلام وأفراد حكومته واختاروا موقع تنفيذ العملية في صالة الاجتماعات الكبري حيث يجتمع عارف وأعضاء حكومته .. وبالطبع تم الترشيح بإجماع ودون منافس لصدام حسين الذي كان ينتظر تنفيذ حكم الإعدام فيه داخل السجن جزاء لقتله شرطيا وجرح أخرين ..

وفي نفس الجلسة السرية تم إعداد خطة لتهريب صدام حسين من سجنه .. وتم تهريبه بالفعل وصدر قرار تكليفه بالمهمة الوطنية القومية لإنقاذ حياة الأمة العربية

الرشيدة .. وانصرف إلى حين إشعار أخر لتحديد الوقت المناسب .

كانت الخطة تتوقف على الاتصال بالملازم البعثي ناجي مجيد لتسهيل مهمة وصول مجموعة الاغتيال الى صالة الاجتماعات ثم التخلي عنها ومغادرة موقع العملية .. لكن الأقدار شاءت أن يصدر قرار بنقل ناجي مجيد الي موقع أخر قبل موعد تنفيذ الخطة بساعات فتقرر تأجيل تنفيذ الخطة إلى أجل غير مسمي .. ونجا ثاني رئيس جمهورية عراقي وأفراد حكومته من موت محقق على يد الرفيق صدام حسين عام ١٩٦٥ .. إلى أن شاء الله لهذا الرئيس أن يموت في حادث طائرة في ١٣/٤/١٩٦٦..، ليتولي السلطة من بعده شقيقه عبد الرحمن عارف .

أصبح الطريق ممهدا أمام البعث لكي يصل الى عرش بغداد .. ورغم أن الحزب تفتت وتمزق داخليا فإن وفاة عبد السلام عارف في حادث الطائرة في ١٣ أبريل ١٩٦٦ فتحت السبيل أمامه لضعف عبد الرحمن عارف الذي تولي العرش بعد وفاة أخيه عبد السلام ولم يكن يحسن السياسة أو يتمتع بقدرات تحفظ عليه عرشه .. أو لعله لم يعرف السر الذي يجعل منه زعيما ملهما خالداً . . وهو أيضا علي مايبدو لم يسع الي تعلم هذا السر ولو فعل لعرف كيف يستقر عرشه عشرات السنين من غير أن يهتز . لكن القدر اختار هذا الرجل المسكين ليكون هو الرجل الذي يخنقه البعث بقبضتيه هو لا بقبضتي البعث فأوغروا ضده صدر ابراهيم الداود قائد قوات الحرس الجمهوري وعبد الرازق النايف مدير المخابرات !! (أي الرجلين المطلوب منهما حماية عبد الرحمن عارف) .

ويحكي التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر البعثي القطري الثامن تفاصيل الجريمة التي ارتكبوها ضد عبد الرحمن عارف تحت شعار : انقلاب (ثورة) ١٧ تموز فيقول :

((ولما كانت عملية الأنتفاضة المسلحة على النظام العارفي والإحاطة به غير ممكنه من الناحية « الفنية » بدون أن يكون لقوات الحرس الجمهوري ثقل خاص فيها فقد برزت الحاجة الي التحالف مع ابراهيم الداود الذي كان آمرا لتلك القوات .. برغم تشخيص الحزب الدقيق لاتجاهاته السياسية وأطماعه)) .

((في صباح يوم ١٦ تموز ١٩٦٨ كانت القيادة القطرية مجتمعه في دار الرفيق أحمد حسن البكر أمين سر القيادة القطرية لوضع خطة الثورة بصيغتها النهائية .. وبالفعل تم إقرار الخطة وتوزيع الأدوار والمهمات علي الرفاق ، غير آن القيادة فوجئت وهي مجتمعه ، بوصول عبد الرزاق النايف يحمل رسالة تتضمن عرضاً بالمشاركة في الثورة . وعلمت القيادة القطرية أن ابراهيم الداود هو الذي أخبر النايف بعملية الثورة ، وعرض عليه المشاركة فيها وتولي منصب رئيس الوزراء)) .

وفي سلسلة المفاهيم المقلوبة .. واعتبار قلب نظام الحكم وسفك الدماء « الاختيار الثوري » . يقول صدام حسين عن نفسه :

((كنا قد حددنا تاريخ ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ الساعة الثالثة صباحاً موعداً ثابتاً لتنفيذ الثورة . وقد أوجد ذلك الخبر هزة عنيفة في نفوسنا وأصبنا بصدمة كبيرة .. وهنا جاء دور القيادة الواعية الجريئة (هكذا سمي نفسه) في الاختيار الثوري (!!) للخروج من هذا المأزق فاتخذت قراراً بقبول اشتراك النايف ، ثم تطهير الثورة منه (تطهير = قتل) وهذا ما حصل فعلاً)) [١] .

- فمن الذي تولي عملية سفك دماء الحليف والشريك في الثورة البعثية ؟

يقول طه ياسين رمضان [٢] :

((والشئ المهم في الموضوع أن صدام حسين هو الذي « ألح » على أعضاء القيادة بترك موضوع عبد الرزاق النايف له .. ولوحده .. وطلب تحميله هذه المسئولية ، قائلا :

« اعذرنى .. لأنني سأقوم بشرف هذه المهمة لوحدي »

- ثم يستطرد طه رمضان :

((ومن الواضح لولا هذه الخطوة الجريئة التي أصر صدام حسين على الإقدام عليها (**وهي سفك دماء الحليف ظلما وعدواناً**) لما كانت هناك اليوم ثورة ولا

---

(١) العراق منذ نشوء الحضارة / ص٦٠١

(٢) المصدر السابق

إنجازات ولا انتصارات ولا هذا المجد الشامخ الذي يطل (بدمائه وعفنه وإرهابه) على الأمة العربية بأسرها)) [1] .

فقد تم تنفيذ الخطة ونجح الانقلاب بفضل النايف والداود وشكلت حكومة برئاسة النايف في ١٩٦٨/٧/١٧ وشغل فيها الداود وزارة الدفاع وبعد مرور أقل من أسبوعين تمت التصفية على النحو التالي حسب نص التقرير البعثي :

((وفي يوم ٣٠ تموز ١٩٦٨ تقرر تنفيذ عملية التصفية وكان ابراهيم الداود قد غادر العراق الى الأردن لتفقد القوات العراقية هناك ، وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم « الخالد » - هكذا نصاً - قام عدد من الرفاق القياديين باعتقال النايف داخل القصر الجمهوري وبطريقة حاسمة شجاعة ودقيقة لا تثير شبهات العناصر المشكوك في ولائها المتواجدة في داخل القصر . وفي المناطق المحيطة به ، وأعطيت التعليمات قبل تنفيذ عملية الاعتقال بدقائق للرفيق الشهيد حماد شهاب لتحريك اللواء المدرع العاشر وتطويق القصر الجمهوري من كل الجهات .. كما أتخذت الاجراءات السريعة والدقيقة لتأمين السيطرة على قوات الحرس الجمهوري ومجابهة أية مضاعفات محتملة . وفي الوقت نفسه كان قد تم ترتيب ما يلزم لتسفير النايف الي خارج العراق في مهمة حزبية لإبعاده عن منطقة الأحداث [2] .

وفي الساعة السادسة مساء أعلن الرفيق أمين سر القطر بيان ٣٠ تموز التاريخي من الإذاعة معلنا تصفية الزمرة المتآمرة على الحزب والثورة بنجاح تام » [3] .

وتسلم « البعث » بالخيانة والغدر ، سلطة العراق لقمة هنيئة سائغة من فم الخيانة والغدر أيضاً ..

- **فمن هو الرفيق المناضل الذي خطط لهذا الغدر الخياني القومي ؟**

يفصح التقرير الصادر عن المؤتمر البعثي القطري التاسع عما أخفوه في تقرير

(١) المصدر السابق ١ / ص ٦٠٢

(٢) تم اغتياله في لندن بعد مرور أقل من عام على عزله .. كما اغتيل ابراهيم الدواد أيضاً .

(٣) هكذا تستخدم الألفاظ بصفاقة شديدة .. ويصف الصديق الذي حقق لهم مكاسبهم بالأمس القريب بانه متآمر على الحزب والثورة .. هكذا ببساطة

المؤتمر السابق فيقول :

في التحضير لـ (١٧ تموز) كان الرفيق صدام حسين هو العقل المخطط ، والمدبر والمحتاط .

وفي صبيحة ١٧ تموز كان - وهو المناضل المدني ، يقود الدبابة الأولي التي اقتحمت القصر الجمهوري .

ولكن في ٣٠ تموز ، كان صدام حسين هو قائد الثورة حقاً .. فهو الذي أصر علي تصفية قوي الثورة المضادة [1] ، وبسرعة التنفيذ ، وهو الذي وزع الأدوار ، وهو الذي قام بنفسه بالضربة الحاسمة ، وبذلك ولدت (الثورة) ولادة حقيقية وبدأت هذه المسيرة التي نعيش في ظلها)) .

وفي ٣٠ يوليو «تموز » تكون قد سقطت بغداد في يد البعث لأول مرة في تاريخها النضالي الطويل .

✍

(١) يقصد الداود والنايف زملاء النضال الثوري في خيانة عبد الرحمن عارف والاطاحة بنظامه .

الإجرام الوحشي

(أمس)



قد تقتضي الموضوعية أحيانا أن أغض الطرف عن الجانب الأسري الدموي الذي بدأ به صدام حسين حياته الحزبية ، لكن ابداً لن أستطيع أن أغض الطرف عن المذهب الدموي الذي اعتنقه كعقيدة من سيده ومعلمه ورسوله ومصدر وحيه الصليبي ميشيل عفلق ، في تكوين شخصيته ورسم الخطوط العريضة لمفاهيمه الدعوية البعثية والتي تتلخص في أقوال عفلق :

« العمل القومي عمل مع البشر لامع الملائكة ، وعلى الأرض لا في السماء ، واجبه الأول أن يستهدف النجاح ، ولكي ينجح ، يجب أن تفشل الأعمال الأخرى »[١] .

ويقول : « العمل القومي القابل للنجاح هو الذي يدفع الى الكره الشديد حتي الموت نحو الأشخاص الذين تتمثل فيهم الفكرة المعاكسة لفكرته » .

تلك هي الركيزة الفكرية التي أسس عليها صدام حسين حياته والتقت مع ميوله ونزعاته الذاتية تجاه كل من يتصدي طريقه أو يعارضه في أفكاره أو يقف حائلا بينه وبين شهواته .

وإذا كانت فترة حكم صدام حسين التي بدأت مع الثورة الإسلامية في إيران احتفظت في طياتها بجرائم البعث غير المحدودة تحت ستار الحرب ، فإن الوقائع القليلة التي تسربت من تحت أعقاب باب إرهابه البعثي النضالي والوقائع التي حكاها التاريخ يوم أن احتلوا مناصب ست وزارات من بين عشر في ظل حكم عبد السلام عارف هذه وتلك كانتا كافيتين لإلقاء ضوء كاف على وحشية هؤلاء المجرمين ، ونبدأ بأمثله لفترة عارف :

كتبت جريدة المحرر اللبنانية[٢] مقالا بقلم غسان كنفاني تحت عنوان « الفاشيست » قال فيه :

---

(١) الشعب العربي يدين العفلقيين – محمود عبد الرحيم / سلسلة كتب القومية – العدد ٢٦٨ الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة .

(٢) ١٩٦٣/١٠/٧ .

قبل أسبوع فاجأت صحيفة أميركية مكاتب «المحرر» بزيارة خاصة . والصحفية المذكورة تعيش في منطقة الشرق الأوسط - والمنطقة النامية في العالم -- منذ عشر سنوات على الأقل ، ولكنها نادراً ما اتصلت بغير عناصر البعث الذين تربطهم إليها صداقات متينة .

وتصر هذه الصحفية ، بطريقتها العنيفة في الكلام ، على أنها تعمل من أجل العالم المتخلف ، وأنها - وهي بالفعل كذلك - مطلعة على دقائق الأمور وتفاصيلها ، وأنها إنما جاءت إلى « المحرر » لتسأل سؤالا واحدا .

ولكن السؤال الذي طرحته بعنف في وجوهنا كان من النوع الذي لا يجاب عليه بكلمات قليلة ، وبالرغم من أن زيارتها جاءت في وقت انصرف فيه الجميع في « المحرر » لإصدار أول عدد يومي فإن المناقشة - التي اتخذت طابعا عنيفا في البدء ما لبث أن هدأ - واستمرت أكثر من ثلاث ساعات .

وليس قصد هذا المقال تسجيل المناقشة بالتفصيل ، ولكن قصده الوقوف عند نقطة واحدة هي جوهر السؤال الذي طرحته الصحفية الأمريكية المذكورة ، هذه النقطة هي التالية :

« يُتهم حزب البعث في العراق بأنه يسلك سلوكا فاشيستيا ، ونفس التهمة توجه إلى الحزب نفسه في سوريا ، وأنا لا أستطيع أن أصدق أبدا أن الحزب التقدمي الوحدوي الاشتراكي الذي عرفته وعرفت معظم زعمائه منذ زمن بعيد يمكن أن يصل إلى درجة الفاشيستيه ، فذلك ليس انتقاصا للقيمة الانسانية لزعمائه فحسب بل هو أيضا إلغاء لقيمة الحزب التقدمية وتناقض جذري مع مبادئه وشعاراته وأهدافه » .

وأضافت الصحفية الأمريكية بعينين مفتوحتين :

« إنني أعتقد أن اتهام حزب البعث بالفاشيستية هو جزء من حملة ديماجوجية غير مسئولة ، وحلقة في مخطط يتجني على الحزب معتمدا على أمور لم تحدث وغير واقعية ، إن زيارتي لكم الآن تهدف إلى إفهامكم أنكم على خطأ ، وأنكم غوغائيون » .

تريد « حقائق »

كان جوابنا معتمدا على الوقائع المعروفة جيدا وقلنا للصحفية الأمريكية أن كبت

الحريات . للقوى التقدمية القومية في العراق وسوريا شئ معروف وهو حقيقي وغير غوغائي ، إن مصادرة الصحف القومية في العراق وسوريا ، وملاحقة وحبس الوطنيين وسحقهم ، أمور قالتها الصحف كلها ، والأحداث كما حدثت .

وقلنا للصحفية الأمريكية أنه ليس من حق حزب البعث التصرف بهذا الشكل وراء منطقه الذي يبرر مثل هذا السلوك بأنه يهدف لتثبيت حكم الحزب الواحد ، فأولئك الذين تعرضوا للاضطهاد من حزب البعث ، هم جزء لا ينفصل من « الثورة » التي تصيب المنطقة ، وحزب البعث لا يملك برنامجا نظريا ولا عقيدة كلية تبرر - لو تسامحنا - تسلطه ، دون أن « نقبل » أن نفهم .

هذه هي بعض الحقائق

يوم ٢٣ -٩- ١٩٦٣ ألقت سلطات البعث في العراق القبض على مائة وثلاثين طالبا وعاملا منهم ٧٠ طالبا من كليتي الآداب والحقوق ، بينهم جزء من طلبة البلاد العربية الذين يدرسون في بغداد . أطلق سراحهم بعد يومين وأعيد اعتقالهم بعد يوم واحد . و ٦٠ عاملاً من الكرخ - منطقة الفحامة - جزء كبير منهم من عمال المقاهي ، وجزء آخر من العمال العاطلين عن العمل .

في مطلع الشهر ، ومع بوادر العام الدراسي ، أعيدت حملة الاعتقالات لتشمل جميع الألوية ، حوالي مائة معتقل آخر من الطلبة والعمال اقتيدوا إلى « الموقف » ليوزعوا من هناك على المعتقل التابع للحرس القومي في بناء محكمة الشعب سابقا وعلى « مركز الفضل » في شارع الكفاح وعلى معتقل « قصر النهاية » .

ماهي التهم

لقد كانت أسئلة المحققين تتركز بالتعذيب حول أمرين : أولا محاولة معرفة كل العناصر غير البعثية المنظمة في العراق ، وثانيا محاولة معرفة العناصر البارزة غير البعثية والتي في خارج العراق ، في البلدان العربية المختلفة وخاصة لبنان والخليج العربي وجنوب الجزيرة .

إن المسئول عن التعذيب مثلا في المعتقل التابع للحرس القومي في مبنى محكمة الشعب السابقة هو المدعو رافع ، الذي يسمي نفسه اسما حزبيا هو « جمعة » ، وهو طالب في كلية الزراعة بجامعة بغداد .

مسئول أخر في نفس المركز اسمه « خالد طبره » وهو خريج كلية التجارة .

المسئول عن التعذيب في معتقل قصر النهاية ، الذي وضعت على بوابته لافته خادعة كبيرة عليها « مستشفي الأمراض الصدرية العسكري » هو المدعو عمار ، وهو خريج كلية التجارة في جامعة بغداد ومرافق خاص لمنذر الونداوي قائد الحرس القومي والمسئول - أيضا - عن الحرس القومي في منطقة الاذاعة ، وهو « مثقف » أيضا يحاضر في السجناء بين الفترة والأخري - بعد التعذيب - محاضرات « فكرية » من مستوي رفيع .

تعذيب « للانتقاد »

كيف « ينتقد » مفكرو حزب البعث في العراق خصومهم ؟

مثلا : بتعليق السيد عبد الحسين الربيعي ، وهو عامل مقطوع الذراع ، من ذراعه الأخري مدة عشرين يوما في سقف الغرفة الثالثة على يمين المدخل إلى الطابق الثاني في معتقل قصر النهاية ! وساعات طويلة من العشرين يوما في مروحة تدور .

متي حدث ذلك ؟ في النصف الثاني من شهر أيار الماضي ، وفي مطلع حزيران وحين أنزل الربيعي من غرفة التعذيب إلى غرفة المحققين رفض أن يرد على الأسئلة . قال له أحد المحققين الثلاثة إنه يتمني أن يكون - أي الربيعي - بعثيا .

ولكن عبد الحسين الربيعي . الذي مازال في الحبس إلى الآن ، ليس بعثيا .

كيف ينتقد البعث « المآخذ الطفيفة » التي يأخذها علي المعتقلين ؟

مثلا : بوضع السيد سلام أحمد في غرفة منعزلة ، معرضا لشتى انواع التعذيب ، المادي والنفسي ، منذ آيار الماضى إلى الأن ، دون توجيه أية تهمة ، ودون تقديمه إلى أية محكمة !.

مثلا : بمحاصرة القسم الداخلي الخامس ، الذي ينزل فيه الطلبة العرب الوافدون إلى جامعة بغداد ، والكائن في شارع الضباط منطقة راغبة خاتون ، يوم الثلاثاء الماضى في الساعة السابعة مساء وحتى صباح اليوم التالي وتفتيش القسم بدقة متناهية واعتقال بعض طلبته ، ويجب أن نتذكر أن هذا القسم لم يحاصر في أي عهد ، ولا في عهد قاسم !.

مثلا : بحشر ٦٠ سجينا في غرفة واحدة في « الموقف » لفترة امتدت منذ العشرين من الشهر الماضي وإلى الآن ومساحة الغرفة لا تزيد عن خمسة أمتار طولا و ٤ عرضا ، وأغلبهم مصابون بكدمات في وجوههم وأجسادهم ، ويتولى « الإشراف » المعنوي على هذه الغرفة « أبو سلام » الشيوعي قائد عملية معسكر الرشيد والذي يتمتع « برفاهية » نسبية وسلطة مرموقة .

« أصول » التعذيب

ولكن التعذيب له « بروتوكول » و «مدرسة» و « تقاليد » لدي قادة حزب البعث ، وإذا أردنا تتبع مراحله ، كما مارسها الجزء الأوفر من أولئك الذين اعتقلوا لوجب علينا أن نكون منظمين في ملاحقتنا لتلك المراحل التي صارت تقليدا مر به الجميع تقريبا .

أولا : يلقي القبض على « المعتقل » ويؤخذ إلى مركز الحرس القومي حيث يضرب حوالي ساعة بالأيدي والأرجل وأذرعة الرشاشات دون سؤال ولا جواب .

ثانيا : يؤخذ المعتقل إلى قصر النهاية « مستشفى الأمراض » في غرفة بيضاء هادئة فيها تليفزيون دون صوت ، ويدخل عليه بين الفينة والأخري واحد من الحرس القومي يرميه بنظرات « صارمه » ثم يغادر الغرفة دون كلمة .

ثالثا : يؤخذ المعتقل إلى الغرفة التي أشرنا اليها سابقا في الطابق الثاني حيث يربط من معصميه بـ « كلبشات » وراء ظهره ويعلق في حبل ويضرب بواسطة « نربيج » يسمي هناك « الصندات » وإذا كان هذا الشخص « خطيرا » يربط في مروحة تدور به بضعة ساعات .

رابعاً : يؤخذ المعتقل بعد ذلك الى« الموقف » حيث يجري استجوابه من جديد ، وإذا استمر في تمسكه بالصمت يضرب « بالصندات » مرة أخري وفي حالات كثيرة تستعمل الحروق بالسجاير . وهي آخر المراحل حيث يقرر فيما إذا كان من الضروري أن يسجن هذا الشخص ، أو أن يطلق سراحه ، إلا أن من يطلق سراحه يفضل عادة أن يعود لأنه يوضع تحت مراقبة شديدة تنغص عليه عيشته .

أين « الغوغائية » ؟

هذه هي الخيوط التي تستطيع أن تبدأ بها صحفية أمريكية تقول أنها تبحث

الحقيقة ، ومنها ستصل إلى حقائق أخرى كالأوهام والقصص .

والفوضائية ليست هنا ، ولكن في المآسي التي تحدث في سجون العراق ، أيتها الصحفية الأمريكية .

اللغة التي يخاطب بها اللصوص والسفاكون

وكتبت بيروت المساء[1] مقالاً بهذا العنوان قالت فيه :

لو أن المعركة بيننا وبين البعث كانت معرك عقائدية صحيحة ، لكنا مسحنا البعث - وهو عديم العقيدة الوطنية بل صاحب الرقم الأعلى في الانتهازية والتقلب - منذ اللحظة الأولى ، ولكن المعركة معركة بين شعب وجلادين ، ولذلك نحن نأسف لكل كلمة أو مقالة تدبج في دحض مزاعم البعث الهزيلة التافهة ، فإنه مجهود ضائع لإبادة عقيدة غير موجودة ، أعلنت إفلاسها الكامل حيث فضحتها محاضر القاهرة التي نشرت في الأهرام وأذيعت على الدنيا ، وأصبحت مضرب المثل في سخافتها وتناقضها .

إن الصراع القائم اليوم بيننا وبين الشعب ليس صراعا عقائديا ، ولكنه صراع بين لص دخل منزلك في الظلام واستولي على سلاحك وهو يشهره في وجهك لابتزاز آخر قرش من ثروتك ، وبين مواطنين أشراف كادحين .

وما أخذ بالدم لا يسترجع بالكلام ، والهداية والإقناع لا يفيدان مع اللصوص والسفاكين .. فضع السوط .. وارفع السيف حتي لا تري فوق ظهر الأرض بعثيا .

كما قالت جريدة الأنوار اللبنانية[2] :

تمكن أحد الكويتيين المعتقلين في سجون بغداد من أن يبعث برسالة من داخل السجن يصف فيها الإرهاب الذي يذيقه حزب البعثيين في العراق للمواطنين الأحرار ، وقد أمسك صاحب الرسالة عن ذكر اسمه حفظا على سلامته وسلامة أسرته .

- **وفيما يلي نص الرسالة :**

---

(1) ١٩٦٣/١٠/١٧ .

(2) ١٩٦٣/١٠/٢٤ .

أكتب رسالتي من محكمة الشعب التي نصبها حكم البعثيين في العراق مكان محكمة المهداوي السابقة ، وذلك بعد أن نقلت الي خمسة سجون في مدة لا تزيد على ثلاثة أسابيع وهي سجن (رقم ١) بمعسكر الرشيد ، وسجن قصر الرحاب سابقا والنادي الأولمبي ، هو مقر الحرس البعثي والإدارة المحلية بالعاصمة وهي مقر المخابرات ، ثم سجن محكمة الشعب الذي يضم الآن أكثر من ألفي مواطن اعتقلوا في الشهر الماضي .

ويتكون سجن محكمة المهداوي – الذي اطلق عليه البعثيون زورا وبهتانا اسم « سجن الشعب » – من قاعات عديدة وضع في إحداها ٢٤٠ من المناضلين الأحرار .

وفي مدخل السجن توجد غرفة التحقيق ، وفيها فئتان من المحققين منهم عمار اللوش وخالد صبره وناظم قزار وفاضل عباس الخفاجي وفاضل الحجيه ، ومهمة كل هؤلاء التحقيق مع المناضلين وتعذيبهم بمساعدة أخرين .

البعثيون ينكلون بزملائهم

وقد وجدت معي في قاعة السجن عددا كبيرا من كبار الموظفين ، بل وبعض أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث في العراق الذين أعلنوا صراحة عدم رضاهم عن عبث قيادة البعث بمقدرات الشعب ، ومن بينهم عدنان العضاض وهاني الفكيكي ومحسن الشيخ راضي وجعفر قاسم حمودي وأخرون ممن انقلبت عليهم قيادة البعثيين في حملتها لتصفية رفاق الطريق .

والقاعة التي سجنت فيها وضعت على مدخلها لافته حمراء كتب عليها : «ممنوع الدخول إلا بأمر الاستعلامات » وتتدلي من سقف القاعة عدة حبال مزينة بالخناجر والسكاكين ، وفي أركانها الأربعة أدوات التعذيب الكهربية ، أما رائحة الغرفة فمقبضة تماما وأرضها مغطاة بطبقة من دماء الضحايا بعضها متجمد وبعضها ما زال سائلا .

وصف إحدى عمليات التعذيب

ووصف كاتب الرسالة احدي عمليات التعذيب التي تعرض لها هاشم علي محسن العامل بمصلحة نقل الركاب والذي أدخل السجن في أول تشرين الأول الحالي ، فقال :

سيق « هاشم » فور إحضاره إلى غرفة التحقيق الحمراء حيث انهال عليه

الضباط البعثيون ضربا بالحبال ومؤخرات الخناجر حتي أغمي عليه . وجر على الأرض حتي القاعة التي سُجنا نحن فيها ، وظل في مكانه على أرض القاعة غارقا في الدماء المنتشرة على سطحها حتي أفاق بعد ساعة كاملة وهنا تقدم حراس القاعة وأخذوا يضربونه بالأسلاك الكهربية المعلقة في سقف القاعة حتي أغمي عليه مرة ثانية وثالثة وهكذا .

وظلت عمليات التعذيب الوحشية مستمرة لمدة ثلاثة أيام أصيب خلالها هاشم بكسر في ظهره وبشلل في يديه فنقل إلى مكان اخر لا نعلمه حتى الآن .

تعذيب مئات المناضلين

وخلال الأسابيع الثلاثة الماضية مارسوا عملية التعذيب هذه امامنا في مئات من المناضلين الأحرار كان من بين من عرفتهم جبار المضيف وهو ملازم طيار ، وهاني البارودي وهو عامل ، وهاشم الخشابي وقاسم حسين طالب وحسين الكريم وهم طلبة ، ومحمد منصور وهو موظف بالسكك الحديدية وبدوي حسين المدرس ، وعبد العال الناصر الطالب الكويتي .

وكثيرون لم يتحملوا عمليات التعذيب ولفظوا أنفاسهم خلالها ومن بينهم خمسة من الشبان أتذكرهم ، وهم طارق الحاج أبو كرموش ، والسلطان عبد الله ، وطارق البانجري وهم طلبة ، وخليل علاوي وشريف العاني وهما من العمال .

وقال كاتب الرسالة في ختام رسالته : إنني أتوقع حملات اعتقال وتعذيب اخري كثيرة ، والسبب في ذلك يعرفه كل أبناء العراق الأحرار وهو خوف البعثيين من غضبة الأحرار ويقينهم بقرب اليوم الذي يقوم فيه من يطيح بحكمهم الفاشيستي الإرهابي الانتهازي .

رسالة من أحد ضحايا الإرهاب البعثي بالعراق[1]

قضيت ٧ أشهر في سجون الفاشيست ، ١٤ وسيلة للتعذيب تستخدم تلقت « الأنوار » أمس رسالة خطيرة من مواطن عربي حر بعث بها من مطار بيروت لدي وصوله اليه أمس الأول في طريقة الي أوروبا للعلاج من تأثير التعذيب الشديد الذي

(١) جريدة الأنوار اللبنانية / ٢ نوفمبر ١٩٦٣ .

تعرض له في سجون حزب البعثيين بالعراق ، تكشف الرسالة عن حقائق مذهلة ووقائع خطيرة وتميط اللثام عن الاضطهادات التي يتعرض لها شعب العراق علي أيدي حزب البعثيين الحاكم .

وقد استهل المواطن العراقي رسالته بقوله : وصلت إلى بيروت في مساء يوم ٢٩ تشرين أول بعد أن تمكنت من الإفلات من قبضة الجلادين من حكام حزب البعثيين ، وبعد أن قضيت في سجونهم مدة لا تقل عن سبعة أشهر التقيت خلالها بمئات من إخواني أحرار العراق الذين نالهم من تعذيب السلطات الحاكمة ما لاعين رأت ولا أذن سمعت به من قبل .

ومهما أوتيت من المقدرة علي الكتابة والوصف فإنني لا أستطيع أن أصف الحقيقة كلها : حقيقة ما يجري داخل سجون العراق اليوم .

في سجن أبي غريب

فقد نقلت ذات مرة إلى معتقل « أبي غريب » ، وهو يحتوي على قاعات كبيرة وجدت أن حزب البعثيين قد حشر في إحداها حوالي ٦٠٠ شخص وكانوا جميعا قد تركوا بلا طعام أو شراب قبل ذلك بثلاثة أيام ولم تكن مساحة المنطقة المخصصة لكل من هؤلاء المعتقلين لكي ينام فيها تزيد على متر مربع واحد .

ولكن هل اكتفي حزب البعثيين بهذا التنكيل ..؟ أبدا . فالواقع أن تجويع المعتقلين وحشرهم في السجون فوق بعضهم البعض ليسا سوى البداية أو أول مرحلة من مراحل التعذيب البعثي .

المرحلة الثانية

إن المرحلة الثانية من أعمال التعذيب كانت تبتدئ في ساعات الليل الذي يظنه البعثيون ستارا لكل عيب ، حين كان يقتحم المعتقل ضابط بعثي من عائلة « كشحولة » ومعه عشرة من الجنود البعثيين المدججين بالسلاح .

وكان الضابط يأمر جنوده بفتح الباب الحديدي للسجن بقوة لكي يفزع المعتقلين ويرهبهم ويحطم البقية الباقية من أعصابهم ، ثم يأمرهم بالانتظام صفا وراء صف لاحصائهم ومعرفة عددهم . ثم تبدأ عملية العد : ولكنها ما تكاد تصل إلى منتصفها

حتي تعاد مرة أخرى بحجة خطأ ، وهكذا دواليك كانت عملية العد والإحصاء تعاد مرة تلو مرة وتكرر فترة إثر أخري وتستمر حتي الصباح وبذلك تتحطم أعصاب المعتقلين ويحرمون حتي من النوم ، وهو أبسط حق للمعتقل .

سوق المعتقلين للإعدام

هذه واحدة وإليك أخري . كان هذا الضابط يأتي أحيانا ويختار عشرة معتقلين أو أكثر ويخرجهم من السجن وهو يصرخ : أخرجوا ياخونه لقد صدرت عليكم الأحكام بالاعدام وستنفذ فيكم فورا . ثم يقتادهم جنوده إلى الخارج حيث ينهالون عليهم ضربا ولكما ورفسا حتي يغمي عليهم تماما قبل أن يساقوا إلى مصيرهم المحتوم وإلى حيث لا يعرف أحد ولا يدري سوي الله وحده .

تعذيب الفتيات

أما تعذيب الفتيات في العراق على أيدي حزب البعثيين فحدث عنه ولا حرج . ولكني غير قادر علي وصف ماجري لهن . فهي أمور يندي لها الجبين خجلا ولايستطيع عاقل واحد أن يصدق وقوعها في القرن العشرين . يكفي أن أذكر أن كثيرات من المعتقلات اعتدي عليهن بالضرب كما اعتدي بعد ذلك علي كرامتهن وبعد ذلك قتلن ودفنت جثثهن في أماكن مجهولة . وكانت الاعتداءات المنكرة التي أصابت هؤلاء الفتيات تجري بإشراف وتوجيه وإرشاد « رجل الملذات » على صالح السعدي .

كيف يعتقل المواطنون

ولكي يستكمل القارئ الاطلاع على جميع أبعاد الصورة عن الإرهاب البعثي في العراق يجب أن أروي له كيف يعتقل المواطنون في العراق وكيف يجري استجوابهم ؟

عندما يلقي حزب البعثيين الحاكم القبض على أحد المواطنين يتولي أفراد الحرس القومي عصب عينيه بقطعة من « البلاستر » ثم يساق إلى حيث لايدري ، وبعد فترة قصيرة يصل إلى المكان المعد له وهو عبارة عن غرفة مظلمة تغمرها المياه القذرة الناتجة من فضلات المعتقلين ، ويكون أول صوت يسمعه هو أنين المعتقلين الذين سبقوه والذين تعرضوا لعذاب شديد .

ويترك السجين الجديد يوما أو يومين معصوب العينين وبدون فراش أو طعام أو

ماء تنهار خلالهما أعصابه تماما .

وبعد ذلك يصل زبانية التعذيب برئاسة ضابط بعثي وينادون على السجين الجديد حيث تبدأ المعزوفة المعروفة : اعترف بما لديك وقل لنا أسماء رفاقك وبذلك تنجو وترتاح وتخلص من هذا العذاب .

كتابة الاعترافات

ثم يساق إلى غرفة فيها طاولة وعليها أوراق وقلم ويقولون له تلك هي الأوراق وذاك هو القلم فاكتب اعترافاتك كاملة ، وفي أغلب الأحيان يرفض المعتقلون أن يكتبوا شيئا لانه ليس لديهم ما يكتبونه . فهم لم يرتكبوا ذنبا ولم يقترفوا جريمة . كل « جريمتهم » أنهم قوميون عرب مؤمنون بوحدة وطنهم الكبير ، وهنا يدخل السجين مرحلة أخري من مراحل التعذيب .

وإليك بعض وسائل التعذيب التي تتبع مع المعتقلين لإرغامهم على كتابة ما يريده حزب البعثيين الحاكم :

وسائل التعذيب

١ - سحق الجسد بماكينة « الرولر » التي يبلغ وزنها عشرة أطنان .

٢ - ثقب الآذان بآلة « الدريمشن » الكهربائية بحيث ينفجر دماغ السجين وتتطاير أجزاؤه في كل مكان .

٣ - قطع الجسد نصفين بواسطة منشار كهربائي للخشب .

٤ - الكي بالكهرباء .

٥ - إجبار السجين علي السير على سلالم مغطاه بالزجاج المكسر حتي تنزف رجلاه دما . وعندما يصل إلى آخر درجة من درجات السلم يجدها مكهربة ويصعقه التيار الكهربائي فيغمي عليه .

٦ - الضرب بالأسلاك الكهربائية والأنابيب البلاستيكية .

٧ - التغطيس في المياه القذرة .

٨ – الرش بالماء المغلي ثم بالماء المثلج .

٩ – وضع رأس السجين في آلة تستخدم لضغط المواد الخشبية والحديدية .

١٠ – الضرب بأنابيب الحديد وبالعصي الغليظة المدببة الرءوس .

١١ – التعليق بمراوح السقف ثم اطلاق التيار الكهربائي .

١٢ – تعليق السجين من السقف بواسطة رجليه أياما ذوات عدد .

١٣ – الكي باللفائف المشتعلة والمسامير المحماة في النار .

١٤ – ترك السجين عدة أيام بدون طعام أو ماء ثم تقديم كوب من المياه المثلجة له لا يكاد يهم بشرب محتوياته حتي يتلقي ضربة قوية تحطم الكوب الزجاجي علي شفتيه وأسنانه فتتحطم أسنانه ويمتلىء فمه بقطع الزجاج المكسور الممزوج بدمه وأسنانه المحطمة .

أربعة آلاف معتقل

وبعد ، فليست هذه الا نماذج بسيطة مما يفعله البعثيون اليوم مع المعتقلين الوحدويين الذين زاد عددهم على أربعة الأف شخص موزعين بين مختلف سجون العراق منها سجون الكوت والعمارة والموصل ونقرة السلمان وسجون الإدارة المحلية وسجون أبي غريب .

إن الشعب العراقي ليرفع اليوم صوته عاليا مناشدا الإنسان حيثما يوجد الإنسان لإنقاذه من أبشع إرهاب وأعجب طغيان عرفهما في تاريخه علي يد حزب البعثيين الفاشيستي .

انهيار الاقتصاد

تبقي نقطة أخيرة لا تصبح الصورة كاملة بدونها هي الوضع الاقتصادي في العراق .

إن اقتصاديات العراق انهارت تماما وشلت الحركة في الأسواق شللا تاما وأغلقت متاجر كثيرة أبوابها إما بسبب اعتقال أصحابها أو نتيجة لفرارهم إلى الخارج أو لعدم اطمئنانهم إلى الوضع .

وفي كل يوم يقوم الحرس البعثي باعتقالات جديدة ويتحدث البعثيون عن مؤامرة مزعومة جديدة .

وهكذا يسير حزب البعث الفاشيستي بالعراق من سيئ إلى أسوأ ويحاول جره إلى التهلكة .

ومع ذلك فان الشعب يقاوم . وهو واثق من أنه بمعونة إخوانه العرب وبمساعدة الأحرار في كل مكان سيتمكن من سحق المؤامرة البعثية علي عروبة العراق وعلى إنسانية الشعب العراقي .

تفتح أبواب سجن المزة للآلاف بموجب أحكام قانون الطوارئ ، بلا محاكمة ولا محاسبة ، ولا عدل !

والعامل الثاني : هو فيما قاله الفيلسوف غير الذكي « ميشيل عفلق » من أنه يرى ضرورة أن يتسلم الشبان البعثيون الصغار مقاليد الحكم ثم يخرجوا ويأتي شباب بعثي غيرهم ويبقي في الحكم فترة وجيزة ثم يستقيل فيصبح لدى البعثيين في النهاية حصيلة لا بأس بها من الشبان الذين يحملون لقب : (وزراء سابقين !)

وبالتالي . لا يقال عن حزب البعثيين فقير في الرجال الوزراء !!

وجهة نظر ، لا نحب أن نناقشها وإنما نكتفي بالقول أن الحزب لكي ينفذ هذه القاعدة التي نادي بها الفيلسوف ميشيل عفلق قد جاء في الوزارة السورية البعثية الأخيرة أمس الأول بشباب من الدرجة الثالثة وجعل منهم وزراء .

مثلا : السيد « حسان مريود » وزير الخارجية الجديد كان إلى أمس القريب سكرتيراً ثالثا في الوفد السوري لدي الأمم المتحدة ثم رقي إلى درجة سكرتير ثان ، ثم نقلوه بنفس رتبته وراتبه ، وعندما قامت الأزمة الجزائرية المغربية ، استدعي إلى دمشق لكي يقدم تقريرا إلى حكومته عن الأزمة وقامت الأزمة الوزارية في سوريا – هذه المرة – وقيل له أن يذهب لمقابلة ميشيل عفلق فنفذ الطلب ، وقال له ميشيل :

مبروك !

وأصبح السكرتير الثالث في الوزارة ، وزيرا أصيلا للخارجية !

مثلا : أيضا السيد (وليد الطالب) وزير الشئون الجديد كان إلى أمس فقط معلم مدرسة ابتدائية في الجنوب !.

مثلا : أيضا السيد (جيوشي) وزير التموين الجديد ، لم يتخرج في مدرسة الحقوق الا في العام الماضي عام ١٩٦٢ ومنها إلى الوزارة !

وهكذا جاء ميشيل عفلق ، بتلاميذه الصغار وجعل منهم وزراء وقلدهم مسئوليات الحكم .

تري كيف نعجب بعد هذا أن يقال بأن الأزمات في سوريا لا تنتهي ؟

وكيف تنتهي والبضاعة هي البضاعة نفسها ؟ هي في دمشق ، مثلها في بغداد !

على صالح السعدي يملأ الدنيا فجرا وفسقا ، وأزمات ، ومناورات ويستعدي الحرس القومي علي الجيش ، ويستعدي الجيش على صالح مهدي عماش ويستعدي الهاشمي ، وعبد المجيد والشيخ راضي على احمد حسن البكر ، وعندما تجري الانتخابات القطرية للبعثين ، ويسقط على صالح السعدي في الانتخابات تقوم الأزمة المسلحة التي تلجأ فصائلها إلى الدم ، والحديد ، والنار . ويتعرض الشعب كله إلى الموت ، وتتعرض البلاد كلها إلى الخراب نتيجة هذا الصراع الحزبي المجنون !

كل ذلك لأن العقلية الحزبية البعثية لم تستطع أن ترتفع - حتي اليوم - إلى مستوي المسئولية والحكم وقيادة الجماهير ، وكل ذلك لأن بضاعة البعثيين ليست من النوع الجيد الذي يصمد أمام الأعاصير .

وقديما كان (الترياق يأتي من العراق) !

أما مساء يوم أمس ، فقد قرروا أن يأتوا « بالترياق » من دمشق ويستدعوا القيادة « البعثية القومية » العليا لايجاد حل لهذه الأزمة المسلحة بين أجنحة حزب البعثيين الحاكم - غير سعيد - في دنيا العراق !.

والرواية لم تتم فصولها !

«انتحار»

وكتب مصطفى أمين[1] تحت هذا العنوان يقول:

الذي يحدث في العراق وسوريا من طرد ونفي وضرب وأزمات وانقلابات وصراع ليس هو نهاية عدد من زعماء البعثيين، وإنما هو نهاية للحزب كله، فالحزب الذي كان يدعي أنه حزب أيديولوجي، قائم على العقائد والمبادئ، لا يعترف بالأشخاص، أثبت أنه حزب أشخاص لا هم لهم إلا تولي السلطة، بأي ثمن وبأي طريق، ولهذا فان الذي حدث في هذا الأسبوع هو عملية انتحار! إن البعثيين بدأوا بإلقاء الصورايخ والقنابل على ابناء بلدهم وانتهوا إلى أن يوجهوها إلى أنفسهم، ويطلقوها على رءوسهم ..!

ولم يحدث في تاريخ أحزاب العالم أن حزبا بهدل نفسه، كما فعل حزب البعثيين بنفسه، ولم يحدث أن حزباً ضرب بعضه بالقنابل والصواريخ كما فعل البعثيون، ولم يحدث أن حزباً نجح في تحطيم نفسه بهذه السرعة وبهذه الكفاية وبهذا التصميم!

فما السر في هذا؟

السر أن زعيم الحزب ميشيل عفلق هو رجل بلا شخصية، ولا إرادة، ولا رأي وليست فيه من صفات الزعيم صفة واحدة، وليس له عمود فقري، ليصلب طوله في صراع أو ليثبت في معركة أو ليقود جماعة في صراع، ومن أجل هذا أصبح حزب البعث عدة أحزاب في حزب واحد، وهو يوهم كل فريق أنه معه. ويحاول أن يلعب بكل طائفة ومن أجل هذا تحول الحزب إلى حيوان بعدة رءوس. فيها المفترس وفيها الاليف، منها الجرئ ومنها الجبان، فيها المفكر وفيها المجنون. وهكذا ترى أن الجسم الواحد يتقدم ويتراجع، وينقض ويتقهقر، ويظهر وينزوي، وهو في الحقيقة لا يتحرك من مكانه!

ولم يكن هذا الذي حدث مفاجأة للذين عرفوا حقيقة هذا الحزب ولكنها مفاجأة لمن خدعوا أنفسهم وضللوها عندما بهرتهم الكلمات غير المفهومة والشعارات الغامضة، والعبارات المليئة بالأحاجي والألغاز! لو أنهم أطلوا برءوسهم ليروا ما خلف الواجهات لرأوا حقيقة هذا الحزب الذي لا يجمعه مبدأ، ولا تربطه عقيدة، وانما هو قيادة جمعت عددا من المراهقين السياسيين والمغامرين والسطحيين والنصابين والحالمين واستطاعت

---

(١) أخبار اليوم ١٦/١١/١٩٦٣

هذه المجموعة أن تغرر بعدد من البسطاء السطحيين الذين يتصورون أن كل ما يفهمون هو فلسفة . وكل ما يجهلون هو سياسة عليا ، وكل كلام مشوش هو عمق ونظريات وأبحاث !

ولكن ماكادت هذه القيادة تخرج إلى النور حتي بدت عارية للناس وبدت انتهازيتها وتفاهتها وعدم إيمانهم بأى قيمة أو خلق أو مبدأ أو عقيدة ! وراحوا يغدرون ببعضهم ، ويفتكون ببعضهم ، ويتآمرون ضد بعضهم . وكان كل هذا يحدث خلف الستار المسدل ، وفي الاجتماعات الخفية ، ولكن ما لبثوا أن جعلوا المعركة علنية وتبادل العقائديون المزعومون القنابل والصواريخ بدلا من الحجج والأفكار والفلسفات !

ولانعرف كم يطول هذا الصراع ، فقد يتحول من العلن إلى الخفاء من جديد ، ولكنه سيعود مرة اخري إلى العلن ، فان الصراع سوف يستمر لأنه صراع شخصي من أجل السلطة لا من أجل الشعب ، ومن أجل الحكم لا من أجل المبادئ ، وهو صراع في غابة أكثر مما هو خلاف بين أعضاء حزب !



الإجرام الوحشي

(عندما حكم الطاغوت)

فلما استلم البعث الحكم في بلدين قد عرفا نظام التعدد الحزبي والحياة النيابية بعد كفاح مرير وإن كان البعض يرى أنه لم تكن هناك ديمقراطية حقيقية أو تعبير صادق عن إرادة الشعب . ولكن مما لا شك فيه أن التعدد وإن كان ضعيفاً أو غير كامل فإنه أفضل من نظام الحزب الواحد الذي يؤدي إلى جمود الحياة السياسية فضلاً عن فسادها والانتهاء بها إلى شكل من أشكال الديكتاتورية المقيتة .

وكما أسلفنا فإن البعث لم يستلم زمام الحكم عن طريق الانتخابات المباشرة ، بل عن طريق الانقلابات العسكرية ، ولذا فمن الصعب القول بأن الإرادة الشعبية هي التي أتت به ، أو أن حزب البعث هو المعبر عن إرادة الجماهير في كل من سوريا والعراق .

وما حدث في العراق يسميه المراقبون السياسيون بانقلاب القصر إذ يقوم فيه أحد رجال الحكم بإزاحة سابقه من مقعد الرئاسة والجلوس مكانه ، كما فعل صدام حسين الذي كان يرأس الجهاز السري العراقي مع أحمد حسن البكر رئيس حكومة العراق .

ولم يكن انتظار صدام حسين هذه المدة الطويلة قبل أن يتخلص نهائياً من البكر إلا بسبب وجود عناصر داخل حزب البعث في ذلك الحين كانت ترفض بإصرار وتحد زعامة صدام للحزب وللدولة ، فكان على صدام التخلص من تلك العناصر أولاً ، ثم التخلص من البكر ذاته بعدما وصل به الأمر إلى حد عدم استطاعته رفض التوقيع على قوائم الإعدامات التي كان يقدمها إليه صدام للعناصر الكارهة لصدام وسياساته الدموية .

وعندما اطمأن صدام إلى أنه لن يلقى مقاومة تذكر ، قام بانقلاب القصر وأطاح بالبكر ثم قام بتصفية الباقين بعد تسلمه السلطة بمدة قصيرة جداً . ولقد تمت التصفية بصورة مروعة إلى حد بعيد ، ولعل أشدها رعباً وإثارة ، تلك التي تمت بعد تدبير ما أطلق عليه نظام صدام حسين تهمة « المؤامرة » والتي أدين فيها عدد من أعضاء قيادة مجلس الثورة العراقي وقيادة الحزب ، مما استوجب على الفور عقابهم بالإعدام رمياً بالرصاص .

وتفاصيل تلك المؤامرة المزعومة يحكيها « برزان التكريتي »[1] ، فقد أفرد لها فصلاً كاملاً تحت اسم « النقطة السوداء » وذكر أن خيوط المؤامرة قد اكتشفت بعد أن لاحظ صدام حسين على أحد قيادات الحزب والدولة (محمد عايشي) تغيراً في ملامحه وقدراً من الغموض على وجهه !!

ولذلك بدأت المخابرات في تتبعه مما أدى إلى إكتشاف وجود (لجنة سرية) داخل الحزب تأسست في بداية عام ١٩٧٥ بدعم من النظام السوري ، وكانت هذه اللجنة تضم غانم عبد الجليل وعدنان حسين الحمداني ومحمد محجوب بالإضافة إلى محمد عياشي .

وقد اجتمعت تلك اللجنة إثر معرفتها بنية تنازل « البكر » عن منصب الرئاسة لصالح « صدام » ، وشرح « عايشي » في هذا الاجتماع الموقف مشيراً إلى أن الوضع الجديد يفسح المجال لمجئ حافظ الأسد لرئاسة دولة الوحدة بين العراق وسوريا ، ولقد وافق المجتمعون على هذا الرأي وقاموا بإبلاغ النظام السوري الذي حثهم « **على ضرورة الإسراع في التحرك** » مع ترشيحه لعبد الخالق السامرائي لتولي مسئولية أمانة سر القطر ورئاسة الجمهورية في القطر العراقي وتعيين عامر عبد الجليل نائباً للأمين . ومحمد محجوب نائباً للرئيس ووليد سرت وزيراً للدفاع وعضواً في القيادة القطرية .

وعقد مجلس قيادة الثورة في الحادي عشر من يوليو إجتماعاً مشتركاً مع القيادة القطرية طرح فيه « البكر » رغبته في إعفائه من مسئولياته ، ونهض محيى الشهدي ودعا إلى ضرورة إستمرار « البكر » وأيده في ذلك عايشي وعدنان الحمداني ولكن عند أخذ الموافقة بالتصويت على طلب « البكر » وافق الجميع على ذلك بما فيهم مجموعة اللجنة السرية ! التي إجتمعت في دار محمد عايشي لاتخاذ موقف جديد تمثل في طلب محيى الشهدي إعادة النظر في قضية خروج « البكر » وذلك في اجتماع آخر للقيادة القطرية وأعضاء مجلس قيادة الثورة عقد في ١٩٧٩/٧/١٢ .

ولكن أحداً من المجتمعين لم يهتم بهذا الطلب مما دعا محيى الذي شعر بالإحراج إلى كتابة ورقة صغيرة سلمها إلى عايشي تضمنت عبارة « إن دوري في إجتماع البارحة

---

(١) في كتابه : « محاولات اغتيال الرئيس صدام حسين.» / ص ١٣٩ : ١٦٠ .

واليوم أصبح مكشوفاً . أريد أن أقدم استقالة ، بما ذا تنصح ؟ » فأجابه محمد عايش ولماذا (تستعجل) أتريد تفجير الأمور علينا ؟

القتل الجماعي لـ ٦٢ مسئولا

وكانت هذه الورقة دليل الاتهام لهذه اللجنة ، التي صدرت الأوامر باعتقال أفرادها جميعاً بتهمة « الخيانة » .

وتم إستدعاء أعضاء الكوادر المتقدمة في الحزب على أن يحضر كل منهم بسلاحه الشخصي . وبعد حضورهم تم نقلهم إلى ساحة أعدت لإعدام المتهمين وفوجئ أعضاء الكوادر العليا في الحزب بصدور الأمر إليهم بإطلاق النار على رفاق الأمس وزملاء العمل السياسي لسنوات طويلة .

ويعلق عبد الفتاح عبد المنعم الصبروتي[1] على تلك الواقعة بقوله :

((وإذا أخذنا وقفة تحليلة من هذه الواقعة لاستخلاص المقاصد التي كان يرمي إليها الرئيس العراقي من هذا السيناريو الذي تمت به عملية تنفيذ أحكام الإعدام في هؤلاء الأشخاص ، والآثار التي تترتب على تنفيذها بهذا الشكل فيمكن أن نوجزها فيما يلي :

١ - فرض فكرة الردع العام بين صفوف البعثيين بزرعها داخل مشاعرهم كنتيجة مباشرة لقيام الكوادر المتقدمة منهم بتنفيذ عملية الإعدام ، مما يكون له أثره الرادع لمن تسول له نفسه القيام بأي نشاط أو تحرك أو إبداء أي موقف معاد لصدام حسين شخصياً ، لأن من أتهموا بالمؤامرة كانت تهمتهم أساساً هى الاتفاق على تحرك ضد الرئيس نفسه .

٢ - إشراك جميع المسئولين الحزبيين في ذلك والذين سوف يتم تصعيد عدد منهم مستقبلاً إلى مراكز حزبية ووظيفية عليا نتيجة خلو المراكز التي كان يشغلها من اتهموا في تلك المؤامرة مع ما يترتب على ذلك من شمول عملية التصعيد كل المستويات التنظيمية للحزب من أسفل إلى أعلى ، وإضافة إلى أن تنفيذهم لهذا العمل سيكون نوعاً من الإختبار والتقييم لمدى الولاء لشخص الرئيس الجديد ، فهو يمثل أيضاً نوعاً من

---

(١) الحرب العراقية الإيرانية

التضامن في المسئولية التاريخية لمن قاموا بتنفيذ هذه العملية - مشاركة مع الرئيس ومن تبقى معه من القيادة في حينها - حيث سيصبح البعض منهم بعد تصعيدهم إلى درجات أعلى ، في الموقع الأول في السلطة مع الرئيس فلا يتحمل صدام حسين مسئولية هذا العمل وحده هو ونائبه عزت إبراهيم ورئيس المحكمة نعيم حداد والقلائل المتبقين من قادة انقلاب يوليو عام ١٩٦٨ .

٣ - أن تكون هناك عقيدة لدى البعثيين في نفوسهم وعقولهم مهما كانت درجة اقترابهم أو علاقتهم بالرئيس نفسه ، أو أعضاء القيادة الآخرين ، بأن مكانتهم هذه لن تشفع لهم بالتسامح عن أي تصرف يدخل ضمن ما يسمى (بالتآمر على الحزب والثورة) وهي عبارة لا يقصد بها سوى شخص الرئيس ونوابه في الحزب والسلطة . ولكي يفهم الجميع أن أمن وسلامة الرئيس ونظامه فوق كل شئ وقبل كل شئ في العراق[1] .

٤ - أن يفهم كل مواطن في العراق أن كل تحرك أو عمل يقوم به أي شخص - وخصوصاً البعثيين منهم - أياً كانت درجته ، هو محل رقابة ومتابعة من قبل زملائه الذين قد يكونون أقرب أصدقائه أيضاً ، مما يفرض حالة من الحذر المفرط الذي هو الخوف بعينه ، في سلوك المواطنين ويجعلهم دائماً في حالة حساب ومراجعة مع النفس على كل تصرف أو كل كلمة تصدر عنهم ، وهذا بدوره يسهم في تحقيق عملية الإنضباط بين العراقيين وتقديس الرئيس والنظام شاءوا ذلك أم أبوا ، وعلى سبيل المثال فإن من واجبات الحزبي أن لا يذكر اسم الرئيس مباشرة - أو يقول الرئيس -- وإنما لابد أن يقول « السيد الرئيس حفظه الله ورعاه » حتى ولو كان ذكره جاء ضمن حديث داخل الأسرة الواحدة)) .

- ويصف عبد المجيد زمزمي وصول « صدام » إلى الحكم قائلاً :

« وصل صدام حسين إلى السلطة في ١٦ تموز (يوليو) ١٩٧٩ وقد جرت في الأيام التالية حملة تطهير واسعة في أوساط المسؤولين العراقيين ، ويشكل هذا التاريخ إيذاناً ببدء الفترة الأكثر دموية في تاريخ العراق الحديث . وهكذا أعدم عدة وزراء يوم

---

(١) أصدر صدام حسين قراراً جمهورياً بعد ذلك باعتبار المساس أو تهديد أمن وسلامة الرئيس ونظامه وحزبه يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون بالإعدام ، إقرأ تقرير منظمة العفو الدولية في الصفحات التالية .

٨ من آب (أغسطس) ومنهم :

– **غانم عبد الجليل**	وزير التعليم
– **محمد محجوب**	وزير التربية
– **محمد عايشي**	وزير الصناعة

– عدنان الحمداني ، وزير الصناعة ، وقد أعدم رغم كونه صديقاً حميماً لصدام

وباختصار لقد أعدم ما مجموعة ستة وخمسون مسئولاً بعثياً في يوم واحد ثم أضيفت إليهم قائمة جديدة ضمت :

– حردان عبد الغفار التكريتي وحماد شهاب التكريتي وقد تعاقبا على منصب وزير الدفاع .

– الدكتور ناصر الحاني ومرتضى سعيد عبد الباقي وكان كل منهما وزيراً للخارجية وقد اغتيل الأول ، بينما مات الثاني تحت التعذيب في السجن عام ١٩٧٩ .

– **الدكتور عزت مصطفى**	وزير الصحة
– **فليح حسن ياسين**	وزير الصناعة
– **محمد فاضل**	عضو المكتب العسكري للبعث
– **ناظم كزار**	مدير الأمن العام

خمر الغرور

ولنسمع رواية واحدة من شهود أقسى وأشد وأنكى جرائم صدام حسين في تاريخ المسلمين وهي حربه التي استمرت ثماني سنوات مع إيران وانتهت بالفشل ثم بالصلح ليستبدل بها أرضاً جديدة عن طريق السرقة العلنية هى أرض الكويت .

تقول صافي نازكاظم[1] التي كانت مقيمة بالعراق مع أول أيام الثورة الإسلامية في إيران :

وفجأة ظهر لنا البعثي العراقي – دوناً عن كل الناس – بنزعته السلمية المتسامحة

---

(١) يوميات بغداد / ص ١٨ : ٢٣ .

العاطرة التي لا تقوى على رؤية الدماء ورؤية إنسان يعدم ولو كان عباس هويدا البهائي الصهيوني ! تلك النزعة البيضاء التي كانت تختفي سريعاً في شماتة واضحة كلما تم اغتيال أحد رجال الدين من المجاهدين الصابرين . كان الهجوم على الثورة الإسلامية لأنها حرمت الخمر ومنعت البغاء ورفعت المرأة المحجبة على المرأة السافرة وظهر الادعاء بأنهم يفرضون الحجاب على المرأة بينما تناسوا أن والد رضا بهلوي نزع الحجاب بالقوة عن وجه المرأة الإيرانية وهى تسير في الطريق لإرغامها على الرضوخ لإجراءات السفور المفروضة قسراً على أمة مسلمة .

وعندما أذاعت لندن أن الإمام الخميني قرر تحريم الموسيقى التاث التليفزيون والراديو العراقي بالموسيقى ونزلت الشعارات التي تكاد تقرر أن العربي يمكن أن يتهاون في عرضه ولا يتهاون في قرار جائر يحرمه من الموسيقى . وأقيم « المؤتمر الدولي للموسيقى العربية » في بغداد بضجة وبذخ لم تعهدهما من قبل ولم ينقطع برنامج المنوعات الخاص بالأغنيات الأجنبية عن ولائه « لجوجوش[1] » وبث أغنياتها مع رقصاتها الماجنة في وقت كان يحرم فيه رفع صورة للإمام الخميني .

وعندما حانت احتفالات تموز (يوليو) ١٩٧٩ كانت أصابع أمريكا قد قررت تحريك خيوط العرائس في خطوة حسم ضرورية لتحويل القيادة السياسية في العراق من قيادة جماعية يشترك فيها « البكر » و « صدام » مع « مجموعة من الوزراء وقيادات الحزب البارزين » إلى « قيادة فردية » يمسك بها رجل واحد يمكن أن تُسكب فيه خمر الغرور بيسر يطيش معه عقله وسلوكه وقراراته . وكانت قابليات صدام واستعدادته الفطرية ترشحه لأن يكون هو هذا الفرد المختار .

وفوجئ الشعب العراقي كما فوجئت القاعدة الجماهيرية لحزب البعث في احتفالات تموز ١٩٧٩ بأحمد حسن البكر يعلن في خطابه التقليدي تنازله عن الرئاسة لنائبه صدام حسين ، بحجة أنه صار مريضاً تكالبت عليه الأمراض والكوارث (كان قد فقد زوجته ، وبعدها ابنه في حادث سيارة راح ضحيته الابن وزوجته وأطفاله وشقيقة زوجته ، وكانت الشائعات تدور في بغداد أن البكر صار أكثر إلتصاقاً بالدين وتعلقاً بزيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء وسامراء حيث مقام الإمام السيد محمد « الإمام الغائب عند الشيعة » وذلك بسبب رؤى وأحلام تحاصره أثناء النوم ، وأنه كان

---

(١) مغنية إيرانية شهيرة .

يتوجس الشر دائماً ممن حوله حتى أنه أصر في مرة على أن يصاحب ابنه المسافر بالطائرة خوفاً عليه من تآمر لاغتياله) . ولم يرحب الشعب بهذا القرار إذ أحسوا أنهم بهذا سوف يدخلون مرحلة القبضة الحديدية الأكثر إحكاماً خاصة وأنه لن يكون هناك نائب قوي ند لصدام حسين كما كان صدام نائباً قوياً نداً للبكر مما جعل الكثيرين يقولون إنه كان حاكماً من وراء الستار . ولكن القيادة السياسية والواجهة الإعلامية طنطنت للقرار الديمقراطي (كذا !!) الذي تم إتخاذه .

وانتهت الإحتفالات وصدام بأناقته الباريسية وسيجاره الكوبي فرح سعيد باسم يستعرض « جماهير الشعب » الذي بدأ الشعراء والملحنون يُحَفِّظونه لأول مرة في تقاليد حكم البعث ، أناشيد تدورحول الفرد ، الفارس ، السوبرمان : صدام ، صدام ، صدام .

وكان الغناء قبل ذلك يدور للحزب والمجردات مثل « الأمة العربية » و « القومية » و « الاشتراكية » الخ ، وكان ذلك مما ميز الحكم البعثي عن الحكم الناصري الفردي ولو من حيث الشكل العقائدي المبدئي ، ولكن ها هو صدام والناس ترقص وتغني له ولعيونه الجميلة (كذا !) وهو يتبختر في حركته بين مقلد لعبد الناصر ومقلد لنجوم السينما . وهكذا مُلئ الكأس وأترع صدام بالغرور .

كان معروفاً قبل تولي صدام رئاسة الجمهورية أن هناك أكثر من شخصية قوية ذات نفوذ في الحزب والقصر الجمهوري منهم غانم عبد الجليل ، ، عدنان حسين ، محجوب ، محمد عياش ، وآخرون لم أعد أتذكر أسماءهم رغم أنهم كانوا أسماء طنانة في الآذان صباح مساء . وبعض من هذه الأسماء كانت مُقَرَّبة للبكر تنعم برضاه وتدليله وكانت تشعر أنها بعد البكر مساوية في القامة لصدام ، ولا ندري هل صدر منهم شئ أخاف صدام أو ألقى التوجس في صدره منهم ؟ أم أن صدام - بأمر من أمريكا - كان قد افترض احتمال معارضتهم له في أمور مستقبلية نوى القيام بها ضد الثورة الإسلامية بأمر من أمريكا تلاقت مع هوى قلبه في كراهية تحكيم شريعة الله وحب ما يسخط الله ، المهم أنه شرع في تنفيذ ما يرضي خطة أمريكا في إلغاء القيادة الجماعية حتى ولو كان هناك احتمال بأنها ستوافقه أو تهادنه ، على أساس أن الاحتياط واجب كل لص وسفاح .

ومع تباشير شهر أغسطس ١٩٧٩ ران الصمت الرهيب على الشعب العراقي وعلى قاعدة الحزب الجماهيرية ، وهم يستمعون إلى تفاصيل تقرأ عليهم من التليفزيون ثم تعرض عليهم سينمائياً ، عن خيانة مروعة تم اكتشافها في صفوف المتصوفة والزهاد من كبار قيادات الحزب القطرية والقومية والحكومة . ووقف صدام في الفيلم السينمائي يبكي حزناً على انتهاك العذرية الحزبية . لكنه سرعان ما جفف دموعه « بالكلينكس »[1] وهو يجمع شتات عزيمته ليقول للشعب العراقي وللجماهير الحزبية مع ومضة خاطفة في عينيه النازيتين :

« الذي يخون قومه ليس له منا إلا السيف » .

وفي ٨ من أغسطس سنة ١٩٧٩ تساقطت ٢١ رأساً تضمنت كل الرؤوس اللامعة في الحكم والحزب والتي كان يمكن أن تتحكم في بعض مجموعات داخل الحزب[2] وكانت هذه المجزرة كافية لإرهاب المنتمين للحزب كافة وإلزامهم الأدب والطاعة الكاملة للمعلم الكبير صدام حسين الذي أثبت عملياً للجميع أن قلبه أشد قسوة من الحجارة وأنه إذا كان قد هان عليه قتل أصدقائه وأحبائه ورفاقه المقربين فإنه بهذا يرفع شعار حكمه الجديد وهو : ((والله لو وقفت زوجتي (بنت خاله) وأبنائي في طريق ما أريد لأذبتهم في حمض الكبريت !)) ، وأطبق الشعب العراقي وأفراد الحزب وجماهيره فمه لا يقول ما في قلبه وعقله حتى ولو في غرفة نومه همساً في أذن زوجته .

وبداية من هذا التاريخ سيطر صدام على كل مفاتيح السلطة في الحكم والحزب بقيادتيه : القطرية « التي تتحكم في الحزبيين العراقيين » والقومية « التي تتحكم في الحزبيين العرب من الأقطار الأخرى » .



---

(١) نوع أمريكي من المناديل الورقية – المؤلف –

(٢) كان المفروض أن يتم إعدام منيف الرزاز (وهو أردني) ، نائب الأمين العام للقيادة القومية للحزب ، لولا تدخل الملك حسين فاكتفى صدام بتحديد إقامته ثم سجنه ، مع إعدام كل مؤلفاته البعثية وتنظيراته الحزبية . وأنزل صدام بديلاً عن ذلك مؤلفاته الشخصية وكتيباته التنظيرية تمهيداً لإستئثاره بلقب « مفكر الحزب وفيلسوفه ومنظره الوحيد » .

وانتشر الحزب في ظل الحكم الديكتاتوري الجديد باسطاً جناحيه على كافة نواحي الحياة المختلفة وهو يحكم قبضته على الأنشطة الحيوية ولا يسمح بوجود لغيره من التيارات الفكرية والسياسية .

فالمزارع والمصانع والموظف لا يحصل على احتياجاته الأساسية إلا من الحزب ولا يخضع لغير الحزب محاولاً إرضاء المسئولين فيه ، حتى يتمكن من قضاء مصالحه والحصول على حقوقه .

ويخضع ضباط الجيش - أيضاً مثلهم مثل كل فئات الشعب العراقي - لتقييم الحزب فلا تتم ترقيتهم إلا بعد موافقة الحزب وبذلك تصبح المراكز المتقدمة في الجيش حكراً على من يظهرون الخضوع المطلق .

وأصبحت سيطرة الحزب عل كل فرد ، وكل مكان وكل نشاط في العراق ، تستوجب تسخير كل الجهود لتحقيقها ، لإمكان السيطرة الكاملة على كل العراقيين بشكل لا يتضمن ولو أقل درجة من احتمالات ضياع السلطة من أيدي القيادة الحالية في العراق ، مستفيدين من دروس الماضي القريب في تجاربهم في السلطة .

وأصبح هناك شعار واجب النفاذ كعقيدة وهو : (من لا يؤمن بالحزب فهو معاد للثورة والحزب) وصدرت تعليمات من قيادة الحزب في العراق خلال عام ١٩٨٣ تقضي بأن يتم التوسع وإلى أوسع مدى في هذا النطاق لتمكين أجهزة الدولة من السيطرة الشاملة على كل أفراد المجتمع العراقي لتسخيرهم لخدمة ظروف الحرب مع إيران من الشباب الصغير إلى الشيوخ . وأصبحت العملية إجبارية وليست إختيارية .

والقراءة المتأنية للكلمة التي ألقاها صدام حسين أمام الجلسة الافتتاحية للمؤتمر القطري التاسع للحزب تؤكد وتحرص على اتباع هذا المنهج فهو يقول :

((لا ، لابد أن نقول بأن أهم ما يواجهنا من خلل مطلوب التنبيه عليه : هو أن أعداء الثورة وأعداء الحزب قد تمكنوا خلال المرحلة الماضية من التأثير في بعض العراقيين من أوساط الشباب وبعضهم من أوساط كادحة كانت الثورة قد أغدقت عليهم العطاء ، وضموهم إلى صفوفهم ، وإنني أعرف حجم واتساع القوى الدولية والإقليمية التي تعمل ضد الثورة ، وأعرف الأسباب التي جعلت كل هذه القوى تتكالب على الثورة ، وأعرف بأننا عندما نعيد النظر في هذه الأسباب نكون قد غادرنا مواقفنا المبدئية

ومصلحة شعبنا العظيم مما لا يمكن أن يخطر في بالنا ولو جزئياً ، ولكنني مع ذلك أعتقد بأننا لو عملنا كما يجب ، ولو فكرنا في الحزب وعلى كل المستويات كما ينبغي ، لكنا قد أبطلنا المخططات المعادية في هذا الميدان ، ولكان نصيب الأعداء أقل مما حصلوا عليه من عناصر منحرفة من أوساط يفترض ألا تكون إلا مع الحزب والثورة .

لقد قدمت الثورة وحزبها القائد للشعب ما لم يحلم الشعب نفسه في الوصول إليه ضمن هذه الفترة الزمنية القصيرة إذن ماذا تقول القوى المضادة لأوساط من الشعب لتكسبها إلى جانبها ، مهما كانت العناصر المكتسبة من تلك الأوساط ؟ هل تقول لهم تعالوا لنعمل ضد الثورة التي أطعمت الجائع ، وكست العاري والتي وفرت لكل إنسان ضمانة في الحياة ؟))[1] !.

والذي يريد أن يخلص إليه صدام حسين من هذا كله ببساطة ، هو نفس ما خلص إليه فرعون عندما قال :

« أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي » ؟

فأصبحت مصر بقرار من فرعون ، بأرضها وشعبها وتاريخها ، ملكاً لفرعون وحده ، هو رمزها وربُّها وحاكمها وأي مساس به فهو مساس بها ، إنه فرعون الذي طغى وتجبر ولم يجد من يردعه ، فتمادى في طغيانه وجبروته إلى أن يشاء الله ويقدِّر .



منظمة العفو الدولية
تجار من صدام وبعثه

وفي تقارير منظمة العفو الدولية كان ملف العراق يكبر وتزداد عدد صفحاته مع كل إصدار عدد جديد من تقريرها السنوي..

أكدت التقارير على محاولاتها المستمرة مع النظام العراقي بالاتصال المباشرة أو عن طريق لجنه حقوق الأنسان بمنظمة الأمم المتحدة لحث العراق والنظام البعثي الصدامي وقف ممارساته اللا إنسانية بالتعذيب إلي الموت واستخدام الأطعمه السامة والأسلحة الكيماوية والإعدام بدون محاكمات وحالات الخطف المتكررة والأغتيالات السياسية للمعارضين داخل العراق وخارجها وكذا حالات الاعتقال الأعتباطي « هكذا نصاً » .

وفي الصفحات التالية ستعرض ملخصات لثلاث تقارير لمنظمة العفو الدولية أعوام ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، ١٩٩٠ .

تلقت المنظمة ، على غرار السنوات السابقة ، تقارير عن انتشار عمليات الاعتقال الاعتباطي للأشخاص المشتبه بمعارضتهم للحكومة ، وللمدنيين الأبرياء . كما تلقت شكاوي حول قيام القوات الحكومية بعمليات التعذيب والقتل المتعمد ، وأثارت المنظمة هذه المسائل في خطاب ألقته أمام لجنه حقوق الانسان التابعة للأمم المتحدة في ١١ أذار / مارس / ، وأشارت إلي « اختفاء » حوالي ٣٠٠ ولد كردي اعتقلوا في السليمانية بين أواخر أيلول / سبتمبر ومنتصف تشرين الأول / اكتوبر ١٩٨٥ (انظر تقرير المنظمة لعام ١٩٨٦ .

جثث الأطفال في الشوارع

وكانت قد التمست في ٢٠ كانون الثاني / يناير توضيحا رسميا عاجلا لأسباب احتجازهم ، وطالبت بإطلاق سراح جميع الأولاد المحتجزين بسبب نشاطات والديهم أو أقاربهم السياسية ، وبإجراء تحقيق في أنباء تعذيب بعضهم وموت ثلاثة منهم نتيجة لذلك . ورد أن جثث الثلاثة وجدت ملقاة في الشوارع في ضواحي السليمانية . وثيابهم ملطخة بالدماء ، وعلى أجسادهم أثار التعذيب .

وأشارت المنظمة أيضا إلي أنباء مقتل حوالى ٣٠٠ شخص في السليمانية واربيل في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٥ ، واعتقال مئات آخرين لم يعرف مصيرهم أو إمكان وجودهم (أنظر تقرير المنظمة لعام ١٩٨٦) .

وأفادت التقارير أن بعض السجناء ماتوا نتيجة التعذيب ، ومنهم طيار سليم محمد ، وهو طالب عمره ١٨ سنة وعضو في الحزب الديمقراطي الكردستاني المحظور ، اعتقل في تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٥ ، وورد أنه توفي تحت التعذيب في تموز / يوليو ، وفي أنباء تعذيب عضوين آخرين في الحزب المذكور قبل إعدامهما إذ أعيدت جثتا مهدي ابراهيم محمد وعبد طه ابراهيم إلي ذويهما في ٨ تشرين الثاني / نوفمبر وأظافرهما منتزعه وعيونهما مقتلعة.

وبعثت المنظمة إلى السلطات في ٣ كانون الثاني / يناير بطلبات مناشدة ، بعد ورود تقارير عن إعدام تسعة من أعضاء الحزب الاشتراكي الكردستاني - العراق ، ولم

تستجب الحكومة للالتماسات التي تقدمت بها المنظمة من أجل إجراء تحقيق في أنباء إعدام أعداد كبيرة من السجناء السياسيين والفارين من الجندية ، في سجون أبى غريب والموصل في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٨٥(أنظر تقرير المنظمة لعام ١٩٨٦) .

إعدام سبعة مسئولين

وبعثت المنظمة في تشرين الأول ./ أكتوبر برسالة مناشدة إلى السلطات ، عقب إعدام سبعة عراقيين لإدانتهم بالفساد الأقتصادي ، ورغم أن السبعة ، بينهم عبد المنعم حسن علوان ، الوكيل في وزارة النفط في بغداد ، فلم تجر المحاكمة أو عمليات الإعدام بصورة علنية .

فرض عقوبة الإعدام جزاء لتوجية الإهانة العلنية لرئيس الجمهورية أو نائبة ، أو مجلس قيادة الثورة . أو حزب البعث العربي الاشتراكي ، أو المجلس الوطني أو الحكومة ، بقصد إثارة الرأى العام ضد السلطات .

وبعثت المنظمة برسائل مناشدة في تموز / يوليو بعد ورود تقارير عن مقتل ٢١ شخصا في شمال العراق وكان بين الضحايا ١٥ طالبا من مدارس ثانوية ومن جامعة صلاح الدين ، ثم اعتقالهم وإعدامهم علنا بصورة فورية في أربيل ، ما بين ٢٧ أذار /مارس و٣ نيسان / ابريل ، وفي حادثة أخري ، ورد أن ستة معتقلين أعدموا علنا بصورة فورية خارج السجن المركزي في السليمانية بتاريخ ٩ نيسان / إبريل وقيل أن جميع الضحايا ، كانوا دون سن الثامنة عشر ، ولم تتلق المنظمة أي رد على رسائلها .



من تقرير منظمة العفو الدولية لعام ١٩٨٨

وردت أنباء عن تنفيذ مئات الإعدامات وكان بين ضحاياها اطفال وأقارب أشخاص اشتبه بمعارضتهم للحكومة كانت السلطات تلاحقهم .

ومن بين آلاف السجناء السياسيين المحتجزين في العراق ، عدد من أقارب مشبوهين تلاحقهم السلطات ، أخذوا كرهائن عوضاً عنهم ، وبينهم حدثان كرديان في الثالثة عشرة والرابعة عشر من العمر يدعيان جمعه ولامي عبد الباقي طه ، احتجزوا مع والدتهما عام ١٩٨٥ بسبب نشاطات أحد أقاربهم في صفوف المعارضة الكردية .

اقتلعوا العيون وخلعوا الأظافر

وظلت تقارير تعذيب وإساءة معاملة السجناء بشكل روتيني ترد علي نطاق واسع . وورد أن بعض السجناء السياسيين عذبوا قبل إعدامهم بقليل ، إذ أعيدت ، مثلا ، جثث ٢٩ شابا ورد أنهم أعدموا دون محاكمة في مطلع كانون الثاني / يناير إلي عائلاتهم وعليها آثار تعذيب وكان هؤلاء من بين حوالي ٣٠٠ شاب وطفل كردي اعتقلوا في محافظة السليمانية عام ١٩٨٥ ، وقيل أن بعضهم اقتلعت عيونهم ، كما أفاد سجين سابق أطلق سراحه في أواخر عام ١٩٨٥ من مقر قيادة أمن الفضيلية حيث يعتقد أن بعض الشبان احتجزوا ، أن عددا منهم تعرضوا للضرب ، والجلد ، والاعتداء الجنسي ، والتعذيب بالصدمات الكهربائية .

في شباط / فبراير ، صدقت بموجب مرسوم رئاسي خمسة أحكام صدرت من محكمة الثورة في كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٦بإعدام خمسة مسئولين ، بينهم المحافظ السابق لمدينة بغداد عبد الوهاب محمد لطيف . كما ورد أن أستاذ شريعة يدعي محمود الدواليبي أعدم مع ثلاثة سجناء آخرين في سجن أبى غريب في ٢٨ أيار / مايو .

قصف القري بسكانها

وفي حادثة واحدة وقعت في١١ تشرين الثاني / نوفمبر ، ورد أن ما يتراوح بين ١٠٠و ١٥٠ كرديا أعدموا فوريا علي أيدي قوات الحكومة بعد عمليات تفتيش المنازل ، وقد تعرضت قريتهم جيمن في محافظة كركوك لقصف مدفعية الجيش عند عودة السكان

إليها بعد أن كانوا قد أرغموا على إخلائها في وقت سابق ، وورد أن ٣٢ كرديا من بلدة شقلاوة في محافظة أربيل أعدموا ما بين ١٤ ، ١٨ تشرين الثاني / نوفمبر ، دون توجيه تهم إليهم أو محاكمتهم ، وكان هؤلاء قد اعتقلوا في تشرين الأول / أكتوبر بعد قيام قوات البشمركة (وحدات كردية مسلحة) بقتل ثمانية مسئولين عراقيين بينهم رئيس بلدية شقلاوة ، ولم يعرف مصير ٣٠ كرديا أخرين اعتقلوا لعلاقتهم بالحادث نفسه . وفي ١٣ تشرين الثاني / نوفمبر ، أعدم في سجن ابى غريب مساعد طبيب بيطري يدعى عبد العزيز عبد الله عثماني ، كان عضواً في الحزب الديمقراطي الشعبي الكردستاني وظل محتجزا منذ عام ١٩٨٦.

القتل بالسم في الطعام

وورد تقارير عن تسميم مالا يقل عن ٤٠ كرديا من معارضي الحكومة على أيدي قوات الأمن في حوادث منفصلة وقعت في أواخر عام ١٩٨٧ وقد استخدمت في تسميمهم مادة الثاليوم وهو عنصر فلزي ثقيل يستخدم عادة كسم للجرذان ، وقيل أن عشرة أكراد تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والستين جري تسميمهم في بلدة مركة بمحافظة السليمانية في ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر ، وأن السم دسته عميلة لقوات الأمن العراقية تعمل في منزل أحد أعضاء الاتحاد الوطني الكردستاني في شراب لبن قدم للضحايا ، وقد توفي ثلاثة منهم خلال عشر ساعات من تناول اللبن المسمم .

في ١٥ أذار / مارس ، عثر علي جثتي طالبين عراقيين في مدينة كراتشي بباكستان ، ورأساهما مفصولان عن جسديهما ، وأطراف أصابعهما مقطوعه وانه قد اشتبه باشتراك الاثنين ، وهما نعمة حمدي محمد وسامي عابد مهدي في عملية اغتيال مزعومة تعرض لها دبلوماسي عراقي في كراتشي في أيلول / سبتمبر ١٩٨٦ .

وورد أن دبلوماسيا عراقيا تواري عن الأنظار في كراتشي قام رجال الشرطة بملاحقته لعلاقته بمقتل الطالبين .



وورد أن ما يربو على ٦٠٠٠ شخص ، أغلبتيهم من المدنيين العزل ، قتلوا عمدا على أيدي قوات الحكومة . وكان كثيرون من هؤلاء ضحايا إعدامات خارجة عن نطاق القضاء ، وأغلبيتهم الساحقة من المدنيين الأكراد بينهم عائلات كاملة ، قتلوا نتيجة عمليات عسكرية شنت على نطاق واسع ضد أهداف مدنية وكانت أعمال القتل هذه ، في نظر منظمة العفو الدولية جزءا من سياسة منهجية ومقصودة انتهجتها الحكومة العراقية للتخلص من أعداد كبيرة من المدنيين الأكراد ، عقابا لهم على ما نسب اليهم من تعاطفات سياسية وانتقاما من نشاطات قوات المعارضة الكردية التي شملت شن هجمات مسلحة على أهداف حكومية عراقية .

وورد أن حوالي ٤٠٠ مدني كردي ، بينهم نساء وأطفال أعدموا في ٢ نيسان / إبريل في معسكر تانجرو العسكري بمحافظة السليمانية وقيل أن الضحايا أصيبوا بجروح نتيجة هجمات بالأسلحة الكيماوية شنت على قرويين في منطقة قرداغ في آذار / مارس ، وقبض عليهم عندما كانوا في طريقهم الي مدينة السليمانية سعيا وراء العلاج الطبي ووردت أيضا معلومات تفيد بأن حوالي ٣٦٠ شخصا من قرية شيخ وسانان بمحافظة أربيل ، كانوا قد اعتقلوا في نيسان / أبريل ١٩٨٧ ، كما ورد ، بعد التماسهم العلاج الطبي في مستشفيات مدينة أربيل لجروح أصيبوا بها نتيجة هجمات بالأسلحة الكيماوية وقعت في وادي نيسان في منتصف ذلك الشهر ، وكان أكثرية هؤلاء مدنيين قيل أنهم « اختفوا » بعد نقلهم إلى مكان مجهول خارج المدينة وصدرت ادعاءات لم تتمكن منظمة العفو الدولية من تأكيدها تفيد بأنهم كانوا قد أعدموا .

الإعدام الفوري والقبور الجماعية

وورد أن قوات الحكومة العراقية اقتحمت في ٢٨ أب / أغسطس عدة قري قرب مدينة دهوك وقبضت على أكثر مكن ١٠٠٠ شخص ، كان بعضهم يعانون من جروح أصيبوا بها خلال الهجمات بالأسلحة الكيماوية وزعم أن الذين اعتقلوا أعدموا علي الفور ثم دفنوا في قبور جماعية مجاورة.

واغتيل زعيم المعارضة الشيعي ، السيد مهدي الحكيم ، في ردهة فندق هيلتون

العراقية في الخرطوم ، وأن أوصاف شهود العيان للقاتل دلت علي تورط أحد الدبلوماسيين في السفارة .

في الأول من ديسمبر ورد أنه قبض علي حوالي ٢٠٠ موظف عسكري ومسئول في حزب البعث ، معظمهم في بغداد والموصل ، للاشتباه بتخطيطهم للقيام بمحاولة انقلاب وكان بين هؤلاء عميدان في الجيش هما عبد الغني شاهين وطالب علي عبد السعدوني ، كان مصيرهما لا يزال مجهولا في نهاية العام .

السياط والكهرباء والاعتداء الجنسي وفض غشاء بكارة الفتيات

وظلت التقارير ترد على نطاق واسع عن تعذيب السجناء وسوء معاملتهم بصورة روتينية . وكان بين الضحايا سجناء سياسيون جري تعذيبهم لإرغامهم على توقيع « اعترافات » أو علي نبذ ارتباطاتهم السياسية وورد أن بعض السجناء السياسيين خضعوا للتعذيب قبل إعدامهم بقليل ، وكان بينهم معتقلون دون الثامنه عشرة من العمر قيل أنهم تعرضوا للضرب ، والجلد والسياط ، والاعتداء الجنسي ، والتعذيب بالصدمات الكهربائية ، والحرمان من الطعام وجاء في شهادة سجين سابق أطلق سراحه من سجن أبى غريب عام ١٩٨٨ ، أن النساء السجينات كن يعلقن عقباً على رأس من أقدامهن أثناء فترة الحيض كما كان يجري إدخال أشياء في مهبل الفتيات مما يؤدي إلي فض بكارتهن ، وشهد معتقل آخر أطلق سراحه من سجن أبى غريب في أيلول / سبتمبر أنه تعرض للتعذيب خلال ١٤ شهرا قضاها قيد الاعتقال ، وتعرض للضرب ، والتعذيب بالصدمات الكهربائية ، ولعملية إعدام صورية .

لقد ناشدت منظمة العفو الدولية حكومة العراق مرارا وتكرارا وضع حد لأعمال القتل المتعمدة للمدنيين الأكراد العزل ، كما أعربت عن قلقها إزاء فرض عقوبة الإعدام والادعاءات بأن بعض الذين أعدموا تعرضوا للتعذيب قبل وفاتهم وحثت المنظمة الحكومة في كانون الثاني / يناير علي التحقيق في أنباء استخدام قوات الأمن لمادة الثاليوم لتسميم المعارضين السياسيين (راجع تقرير المنظمة لعام ١٩٨٨) . ولم يصدر أي رد من الحكومة بصدد حوادث التسميم .

وفي أيلول / سبتمبر ناشدت منظمة العفو الدولية مجلس الأمن في الأمم المتحدة التحرك فورا لوقف مجازر المدنيين الأكراد علي أيدي القوات العراقية . وصدر هذا الالتماس إثر ورود تقارير عن مقتل مئات المدنيين العزل في قري كردية في نهاية أب / أغسطس .



تصدير البعث الدموي لبلاد المسلمين

لم يقف تآمر حزب البعث العربي الاشتراكي عند حدود العراق وسوريا إنما اتسع نطاق المؤامرة التي دعمها كفار الغرب وسعوا عن طريق عملائهم لتصديرها إلى كافة بلاد الوطن المسلمة ، لإحداث القلاقل وإثارة الفتن بين الحكام والشعوب ، وبين الشعوب والشعوب .

ونقلاً عن أحد المؤلفات البعثية(١) ، نورد صورة التسلل البعثي إلى عدد من بلاد المسلمين ، يقول الكاتب :

ظل حزب البعث العربي الاشتراكي بحكم معارضته للأنظمة العربية ذا وجود سري في كل الأقطار العربية ، وقد انتشر في البدء إلى الأقطار العربية المجاورة لسورية أي العراق والأردن ولبنان .

ومن ثم بدأ الانتشار إلى الكويت والبحرين وقطر وعمان واليمن الشمالية واليمن الجنوبية وكذلك إلى الجزيرة العربية (العربية السعودية) . ومن ثم انتشر في المغرب العربي في مصر وليبيا وتونس والسودان .

ففي اليمن الشمالي بدأ انتشاره منذ عام ١٩٥٥ بفضل الطلاب وكذلك انتشر في اليمن الجنوبي بفضل الطلاب أيضاً ، ولعب دوراً هاماً في هذين القطرين . وقد ساهم في خلع الإمام السابق في ٢٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢ في اليمن الشمالي . أما في الجنوب فقد سيطر على الحركة النقابية هناك وخصوصاً (المؤتمر العمالي) .

إلا أن تطور الأحداث العربية ، ووقوع الانفصال بين مصر وسوريا والخلاف الذي حصل بين عبد الناصر والبعث ضمن الجمهورية العربية المتحدة والذي استمر لما بعد الانفصال ، ساهم في إضعاف الحزب على يد عبد الناصر في عدة أقطار عربية . فبعد التدخل العسكري المصري في اليمن والمدعوم من قبل حركة القوميين العرب ، التي كانت

---

(١) حزب البعث العربي ودوره في السياسة العربية .
د. شفيق عبد الرازق السامرائي / ص ١٧٠ : ١٧٣ .

في ذلك الحين غير متميزة عن الحركة الناصرية ، ساهم الجيش المصري في تصفية البعثيين في اليمن وإضعافهم .

وفي العربية السعودية ودولة الإمارات العربية ، انتشر البعث بسرية منذ بدء الستينات وقد لعب الحزب دوراً هاماً في مظاهرات العمال ودعم مطالبهم في المظاهرات ، كما لعب دوراً في تكوين دولة طليعية في أوساط الطلاب .

وكان حزب البعث في المغرب العربي أضعف منه في المشرق العربي ، ففي تونس انتشر الحزب منذ بداية الخمسينات بفضل الطلاب التونسيين الذين درسوا في المشرق العربي وخصوصاً في العراق وسورية .

ونشرت عدة مؤلفات أدبية تحمل اسم البعث وتنشر فكره ، كما أقام الحزب عدة لقاءات حول إيضاح مفهوم الوحدة العربية والقومية العربية والتي أدت إلى اعتقال البعض منهم .

وبحكم سرية التنظيم في تونس فلا توجد الكثير من الوثائق والمعلومات المنشورة عن نضاله هناك ، لأن المصادر الوحيدة هي ما نشرته السلطات التونسية بعد أحداث آذار (مارس) ١٩٦٨ حيث لعب الحزب دوراً هاماً هناك . إذ بعد قيام الحرب العربية الإسرائيلية في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، تظاهر البعثيون في تونس ضد الحكومة واعتقل البعض منهم .

وفي ١٥ آذار (مارس) ١٩٦٨ عمت المظاهرات الجامعة التونسية ، والإضرابات تضامناً مع الطالب (محمد بن حنات) الذي حكم عليه في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بالأشغال الشاقة لمدة عشرين سنة . وقد اعتقل بعض الطلاب البعثيين والشيوعيين كما طرد خمسة طلبة من الجامعة .

وفي ١٩ شباط (فبراير) ١٩٦٩ ، حكمت محكمة أمن الدولة في تونس بالسجن لمدد تتراوح بين سنة إلى إحدى عشرة سنة على واحد وثلاثين طالباً وأستاذاً من البعثيين بدأت محاكمتهم في ١٢ شباط (فبراير) . وقد اتهموا بالتآمر على الدولة وبإنشاء حزب غير معترف به من قبل الدولة وقد حكم على أحمد نجيب الشابي بأربعة وعشرين عاماً وهو أعلى حكم بين جماعته .

أما في ليبيا فلم يكن الحزب إلا كغيره في الأقطار العربية الأخرى في المعارضة ويعمل بشكل سري ، وقد بدأ الحزب عمله في ليبيا منذ عام ١٩٥٤ .

وفي الثاني والعشرين من آب (أغسطس) ١٩٦١ اعتقل أكثر من مائة بعثي في ليبيا بعد نشرهم منشورات تهاجم نظام الحكم .

وفي الخامس والعشرين من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦١ أحيل للمحاكمة ١٥٨ بعثياً في طرابلس متهمين بمحاولة قلب نظام حكم السنوسي وقد حكم عليهم بأحكام مختلفة .

وبعد اعتقالهم أصدر حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق في الخامس من أيلول (سبتمبر) ١٩٦١ بياناً جاء فيه :

إن إمعان حكام ليبيا الرجعيين فى إعتقال رفاقنا ومطاردتهم هذه الأيام بحجة (اكتشاف محاولة للقيام بانقلاب عسكري) عدا أنه تدبير رجعي موجه ضد النهوض الثوري الجزائري ، وعدا أنه جاء متوافقاً وموقوتاً مع إجراءات حكومة الحسن الثاني الأخيرة بإصدار أحكام الإعدام ضد خمسة أبطال من المقاومين الشعبيين فإنه كذلك توضيح للشعب عن ماهية فئاته الحاكمة وتأكيد له بحتمية انزلاق هذه الفئات في هوة الرجعية والدكتاتورية والخيانة .

وأضاف البيان : واليوم إذ تشتد حملة الحكم الرجعي في ليبيا على مناضلي حزب البعث العربي الاشتراكي وأصدقائه ومؤيديه وفي مقدمتهم المناضل الحر عبد الله شرف الدين (رئيس وفد محاميى ليبيا إلى مؤتمر المحامين العرب المنعقد في القاهرة مؤخراً) ورفاقه الأبطال من قادة نقابيين ومهنيين وطلبة وعمال .

ينطلق شعبنا هنا في العراق وطليعته الثورية حزب البعث العربي الاشتراكي ليعلن استنكاره الصارخ في وجه الحكم العميل الرجعي في ليبيا للحملة البوليسية القمعية التي يمارسها ضد الشباب الوطني والقوى النقابية وضد قوى حزبنا بالذات .





عقيدة صدام البعثي



العقيدة هى أسمى وأعظم ما يملكه الإنسان ، وهى ما قبله العقل وربط عليه القلب ، فيجب أن ترسخ فى القلب رسوخ الجبال ، لا تزعزعها الحوادث ولا تهزها الصعاب .

والعقيدة هى الدين الذي يخضع له الإنسان ، يعمل بأركانه ، يطيع أوامره ويرتدع عما ينهى عنه ، ويجاهد لرفع رايته وانتشاره وانتصاره . والإنسان لا تملكه عقيدتان في آن واحد إلا إذا كان مشوش الوجدان مبلبل الفكر أو إذا كان منافقاً يؤمن بعقيدة ويظهر الإيمان بعقيدة أخرى . فلا يمكن تعدد العقائد داخل النفس البشرية الواحدة لأن العقيدة لكي تسمى عقيدة يجب أن تكون شاملة كاملة تحدد للإنسان موقعه في الكون ودوره فيه كما أنها ترسم خطواته في الحياة وتبين علاقة الإنسان بخالق الكون والحياة .

كان البعث دائماً يصف نفسه بأنه حزب عقائدي ، فأي عقيدة تلك التي يقوم عليه البعث ؟ ! لقد عرفنا رأي قادة البعث في عقيدة الإسلام وبالتالي لا يمكن أن تكون العقيدة البعثية هى العقيدة الإسلامية !!

وبالفعل فإن البعث له عقيدة مغايرة للعقيدة الإسلامية ، هذه العقيدة وصفها صدام حسين قائلاً :

« واعتبار عقيدة الحزب هى العقيدة القادرة وحدها على شق طريق الحياة الذي يؤمن به البعثي ، وعلى أساسها تقيم الأمور »[1] .

فهذه العقيدة من منظور صدام هي العقيدة الوحيدة الصالحة لشق الحياة وخلق الحياة البعثية الصحيحة . كما أنها هى الميزان الذي يقيم ويقيس الأمور من حيث الصحة والخطأ والقوة والضعف .

ويترتب على الإيمان بهذه العقيدة أن يتواجد إنسان غير عادي يتمتع بقدرات فائقة ومواهب خارقة ، حتى أن صدام يصفه قائلاً « يستطيع أن يفعل كل شئ مما هو ليس من واجبات الإله »[2] .

---

(١) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢ .

وإن كان صدام لم يحدد ما هى واجبات الإله ، وما هى الأشياء التي لا تدخل في تخصصه وتدخل في تخصص المؤمن البعثي !

فعدم التحديد يفتح المجال واسعاً للاجتهاد في تحديد دور الإله فقد يرى البعض مثلاً أن دوره قد إنتهى عند مرحلة الخلق ، أي خلق الكون والبشر ثم اعتزل (حاشا لله] ذلك كله وبقى في ملكوته ينظر إلى البشر وهم يتصرفون كما يحلو لهم !!

كما قد يرى البعض أن الله [ونستغفر الله من ذلك] ليس له شأن بالسياسة والسياسيين فلا يتدخل فيما يشرعون من قوانين وأحكام يذلون بها خلقه ويتحول بها أهل السياسة إلى أصحاب قداسة تخضع لهم الرقاب وتذل لهم الأنفس ويملكون جحيم المعتقلات يدخله من لا يسلم لهم قلبه ونفسه وماله وعقله ... إلخ .

ويملكون أيضاً نعيم المناصب والرتب يفوز بها من أظهر لهم العبودية الحقة والخضوع الذليل !

وبعد أن وصف صدام العقيدة البعثية وحدد أبعادها ونتائج الإيمان بها ، فإنه يحذر البعثيين من ضعف العقيدة أو اهتزازها كما أنه يحذرهم من تسرب الشك إليها بفعل التيارات السلفية الدينية الرافضة لعقيدة البعث بل يرى أن هذه التيارات قد حركها أعداء البعث حتى تشوش عليه .

« إن أسلوب أعدائنا في هذه المرحلة ينطلق من إثارة العادات والمفاهيم الاجتماعية والدينية المتخلفة والسلفية »[1] .

ولا يكتفي صدام بالتحذير وإثارة الإنتباه إلى ضرورة المحافظة علي قوة العقيدة البعثية وحرارة الإيمان بها . بل وبصفته القائد فإنه حدد أساليب وطرق الحفاظ عليها بغير ضعف أو اهتزاز وطرق تجنيبها أي نقص أو خدش فيقول :

« وأهم ما ينبغي أن نبدأ به - في مواجهة الأعداء - هو تحصين عوائلنا وأصدقائنا ومعارفنا إزاء فعل هذه التيارات المضادة واعتبار هذا من الواجبات النضالية والأساسية»[2] .

---

(١) المصدر السابق ص ١٧ أخر سطر .

(٢) المصدر السابق ص ١٨ .

لقد وضع الخطوط العريضة التي تضمن سلامة العقيدة بضرورة تحصين المعارف والأصدقاء فضلاً عن الأسر من فعل هذه التيارات .

ولقد بدأ الحزب في وضع تفاصيل خطة التحصين هذه .

وكان من أهم الأشياء الواجب القيام بها هى توعية البعثيين أنفسهم إلى خطورة الانسياق وراء هذه العادات والمفاهيم الإجتماعية والدينية المتخلفة والسلفية . وممارسة الطقوس الدينية بصورة علنية لأن ذلك يؤدي إلى أن يقلد البعثيون بعضهم البعض في ذلك الأمر .

« إن بعض الحزبيين صاروا يمارسون الطقوس الدينية بصورة مظهرية ، وشيئاً فشيئاً صارت المفاهيم الدينية تغلب على المفاهيم الحزبية عند معالجتهم للقضايا الأساسية في الفكر والتطبيق في شتى النواحي التي يواجهها الحزب في عملية التغير الثوري الشامل .

وصارت ظاهرة التدين تنتشر شيئاً فشيئاً وبصورة مفتعلة في ممارستها وفي صيرورتها في بعض الأوساط الحزبية بدافع تقليد الحزبيين الأعلى في المرتبة الحزبية فإن هذا الإتجاه مطلوب من القيادة وانسياقاً أيضاً مع الظواهر التي كانت تظهر في بعض الأوساط بنسبة معينة .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل صار بعض الرفاق يضعون مسألة ممارسة الطقوس الدينية كمعايير للتقييم الحزبي .

إن هذا السلوك قد يخلق حالات ضارة انعكست بصورة غير مباشرة على الظاهرة الدينية - السياسية في القطر .

إن انتشار هذه الممارسات بنسبة معينة خلق حالة من البلبلة في صفوف الحزب ونشأ جدل بين الحزبيين حولها وصار بعضهم في حالة من الحيرة إزاء هذه المسألة . هل على الحزبي لكي يكون بعثياً جيداً أن يمارس الطقوس الدينية بصورة مفتعلة ؟ ! أم أن ذلك ليس من شروط التكوين الجيد للحزب ؟

وغير ذلك من الأسئلة ، كما أوجدت هذه الممارسات نوعاً من التصرفات الانتهازية لدى البعض من الذين صاروا يقومون بالممارسات الدينية إرضاء لمسؤوليهم الذين

يقومون بها ويطلبونها من رفاقهم ومن أجل الصعود في الحزب والدولة .

إن هذه الحالة قد جعلت الحزب في وضع لا ينتبه فيه بالدقة المطلوبة لنمو الظاهرة الدينية / السياسية ، ولتأثير مسافة العداء بينها وبينه .

فعندما يكون الحزبيون في حالة من البلبلة الفكرية والسلوكية إزاء المسألة الدينية فإن يقظتهم إزاء محاولات إستغلال الممارسات الدينية سواء كانت عادية أو منحرفة باتجاه سياسي معاد للحزب والثورة تكون ضعيفة ، مما أفسح المجال لنمو الظاهرة الدينية / السياسية بدون يقظة كافية من قبل الحزب »[1] .

لقد نبه التقرير المركزي في الفقرات البعثية السابقة إلى خطورة ممارسة الطقوس الدينية وقد لفت انتباههم إلى عدة أمور تنتج من ممارسة الطقوس بصورة علنية هذه الأمور هي :

١ – غلبة المفاهيم الدينية على المفاهيم الحزبية عند معالجة القضايا الأساسية .

٢ – تقليد بعض الأعضاء لرؤسائهم ممن يمارسون الطقوس الدينية .

٣ – اعتبار بعض الرفاق أن ممارسة الطقوس الدينية معايير للتقييم الحزبي .

٤ – خلق حالة من البلبلة الفكرية بسبب التساؤل هل البعثي الجيد التكوين هو الذي يمارس الطقوس ؟ أم أنه ليس شرطاً لكون البعثي جيد التكوين ممارسته للطقوس ؟

٥ – خلق مناخ يتقبل نمو الظاهرة الدينية .

٦ – إن ممارسة الطقوس كانت فرصة لإظهار انتهازية بعض البعثيين .

هذه هي التنبيهات التي ذكرها التقرير المركزي ولكن لنا ملاحظات على كلام التقرير .

أول هذه الملاحظات هو استخدام تعبير الطقوس الدينية لتعبر عن أداء الصلاة هو أمر مخالف لما هو سائد في العالم الإسلامي إذ أن الإسلام ليس به طقوس ولا أعمال يكتنفها الغموض تؤدي داخل أماكن محددة ويقوم بها رجال معينون يطلق عليهم رجال الدين .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠٠ .

وكما نلاحظ أن التقرير فرق بين المفاهيم الدينية والمفاهيم الحزبية بصورة جعلت أحدهما مغايراً تماماً للآخر إذ أن وجود أحدهما ينفي وجود الآخر وقد أستهجن التقرير إعتبار بعض البعثين أن أداء الصلاة أساس للتقييم الحزبي أو أساس من أسس تكوين الفرد البعثي . بل حرص التقرير على تذكير البعثيين بضرورة زيادة مسافة العداء مع الظاهرة الدينية / السياسية .

ولقد اعترف التقرير بوجود قسم من الحزب يتصف بالانتهازية ويقوم بأداء الصلاة رغبة في التقرب من القيادات التي تمارس الصلاة ، كما اعترف بوجود قسم مقلد للآخرين ولقياداته .

ثم انتقل التقرير من استخدام لهجة التنبيه إلى لهجة التحذير قائلاً :

« كما أن شيوع الممارسات الدينية المفتعلة لدى بعض الحزبيين ، ونزول هذه الظاهرة إلى مستوى الأنصار والمؤيدين قد خلقا حالة من التداخل النسبي بين قاعدة الحزب وبين قاعدة الأحزاب الدينية / السياسية ، فهذا الفرد وذاك يمارسان الممارسات الدينية في وقت واحد ، وأحياناً في أمكنة واحدة ، وتتقارب مفاهيمهما إزاء بعض المسائل والقضايا الفكرية والإجتماعية والنفسية وقد اسهمت هذه الحالة في إضعاف يقظة الحزب إزاء نمو الظاهرة الدينية / السياسية المعادية في البلاد ، لأن قاعدة الحزب تشكل عيناً أساسية له في رصد التحركات المعادية للثورية » (١) .

وفي الواقع فإن هذه الفقرة تعتبر خطيرة للغاية وهى تحوي تحذيراً شديداً للبعثيين من أن ممارسة الطقوس الدينية [الصلاة] في أماكن العبادة تؤدي إلى :

١ - التداخل بين القواعد البعثية وقواعد الأحزاب الدينية السياسية .

٢ - إضعاف يقظة البعثين في الإضطلاع بالدور التجسسي على الشعب العراقي بعامة وعلى المتدينين خاصة .

ومن هذه الفقرة يشعر الباحث أيضاً بمدى تخوف الحزب من تأثر البعثيين بالفكر الإسلامي ومدى هشاشة الفكر البعثي الذي يمكن أن يتلاشى بمجرد احتكاك البعثيين مع غيرهم من أصحاب الأفكار المغايرة حتى لو كان الإحتكاك على هيئة الصلاة في مكان واحد ... !!

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠٠ ، ص ٣٠١ .

كما يفجر التقرير مفاجأة كبرى وهى اعترافه بل حثه البعثيين على القيام بدور الجواسيس وهو ما يعطي فكرة مرعبة عن الطريقة التي يحكم بها حزب البعث ، فكم هو بشع أن نتصور أن أعضاء الحزب هم كتبه تقارير لا يتورعون عن كتابة تقارير عن أقربائهم وأصدقائهم فذلك بلا شك يشيع جواً من الفزع وعدم الإستقرار بين صفوف الشعب وخاصة أن الأعضاء سوف يتبارون في إبلاغ الجهات الأمنية بكل ما تلتقطه آذانهم وعيونهم ، بل قد يؤدي حرصهم على إرضاء القيادات إلى تلفيق التهم بالباطل حتى لأقرب الأقربين وفي الواقع فإننا نتعجب كيف لم يلتفت الكتاب والمفكرون والبعثيون إلى خطورة الاعتراف بكون أعضاء الحزب هم عيون على الشعب !! [1]

إنهم بذلك أعطوا منتقدي الحزب وثيقة إدانة ضد الحزب ، تثبت هذه الوثيقة ما يردده البعض عن سطوة الحزب وتسلطه على الحياة اليومية للمواطن العراقي ...!

ثم اتخذ الحزب قراراً يقصد به الحد من ظاهرة أداء الصلاة والذهاب إلى المساجد وكان هذا القرار يقضي بأن تعقد الإجتماعات الحزبية وقت حلول فريضة صلاة الجمعة وهى الصلاة الجامعة التي لا يمكن تأخيرها أو تقديمها[2] وطبعاً هذا إمتحان

---

(١) وصل إرهاب البعث العراقي في العراق الشقيق حداً يفوق كل وصف ، ومدى لا يستوعبه العقل ، يقول طه ياسين رمضان نائب رئيس الوزراء ومجلس قيادة الثورة في كتابه « صدام حسين : الرفيق والأخ القائد » / ص ٢١٦ :

« ... وبعضهم يأتي إليه لمجرد أن يتبرأ من خائن ومنحرف ، تجد العائلة - ياللهول - التي ينتمي إليها ، بأنها لابد أن تقسم يمين البراءة منه أمام صدام حسين . وهناك آباء (اللهم الطف) جاءوا ليبلغوه بأنهم براء من أبنائهم (فلذة أكبادهم) الذين أعدموا أو سجنوا ، وهناك زوجات جئن ليؤكدن الولاء للوطن والثورة والقائد (لا لله الواحد القهار) ، ويطلبن التخلص من أزواجهن المتآمرين ، وهو يشعر بالغبطة الشديدة تجاه الرسائل التي تصل من زوجات وأزواج وآباء وأولاد وأشقاء ، يتبرأون فيها ، فيقولون مثلاً : « أنا من عائلة فلان الذي خان الوطن مع الأسف ، ولكن أرجو أن تتعاملوا مع عائلتي كعائلة عراقية مخلصة »

ثم يضيف في ص ١٢٧ قائلاً : « فلماذا يشعر صدام حسين بالفرح عندما يتلقى هكذا رسائل ؟ لأنه في العهود السابقة كان أهل الشخص المعتقل (بإمكانهم أن) يتفاخروا باعتقاله أو سجنه أو إعدامه ، ولا تسمح لهم وطنيتهم وكرامتهم أن يلتمسوا له العفو ، أو يدينوا أفعاله ضد الأنظمة التي كانت قائمة حينذاك » .

(٢) الحقائق الخافية في الحرب العراقية الإيرانية ص ١٣٧ .

عسير لأعضاء الحزب الذي يؤدون الصلاة ، فإما يظهرون الولاء الحزبي ولا يذهبون إلى الصلاة ، وإما يعصون الأمر الحزبي ويذهبون إلى الصلاة فإن فعلوا ذلك تعرضوا للسخط من جانب القيادات العليا وإن تكرر ذلك منهم فإن العاقبة تكون وخيمة .

واتخذ الحزب إجراء آخر يرمي إلى نفس الغرض وهو حماية العقيدة البعثية وكان هذا الاتجاه هو محاربة الحجاب .

((صدرت التعليمات الحزبية بمنع ارتداء المرأة العراقية لغطاء الرأس حتي لا يكون ذلك تقليداً للمرأة الإيرانية في عهد الثورة الإسلامية وتولى المسئولون الحزبيون في الدوائر الحكومية والاتحاد العام لطلبة العراق في الجامعات والمعاهد تنفيذ ذلك بأنفسهم وتهديد من يرفض الالتزام بذلك التوجيه الحزبي بالطرد من العمل أو التعليم مع ما يمثله مثل هذا السلوك من انتهاك صريح للحريات الشخصية ، وحرمه المرأة بصفة خاصة والتي لها خصوصياتها في مظهرها داخل مجتمعنا العربي الإسلامي . إلا أن ذلك لم يكن عمل استهجان لدى البعث العراقي . إنما ممارسة الشعائر الدينية هى التي في نظرهم محل الاستهجان الشديد والتخوف من التقليد فيها ولقد أبت الكثيرات من العراقيات الشريفات أن يقبلن بامتهان كرامتهن والخضوع لرغبات الطغاة بهذا الشكل مضحين بوظائفهن مع ما كانت توفره لهن من لقمة عيش في سبيل صيانة كرامتهن .

بل إن هذه الحملة الهستيرية البعثية قد ذهبت إلى أبعد من ذلك حينما تطاول المسئولين البعثيون على السيدات المصريات العاملات في العراق بمطالبتهن بنزع غطاء الرأس أسوة بالعراقيات في هذا الشأن))(١) .

✍

كان من آراء عفلق أن العقائد والأفكار لا تتمثل في أشخاص وأن محاربة تلك العقائد والأفكار المغايرة لأفكار البعث وعقائده لا تقتصر على المجال الفطري أي لا يحارب البعث العقائد والأفكار الأخرى بنقضها فقط بل وبالقضاء على الأشخاص الذين تتمثل فيهم تلك الأفكار .

ولقد طبق البعثيون خلال تاريخهم تلك القاعدة التي وضعها ميشيل عفلق ولذلك

---

(١) الحقائق الخافية في الحرب العراقية الإيرانية ص ١٣٨ .

نجدهم يعلنون حرباً لا هوادة فيها مع الرجال الذين تتمثل فيهم الأفكار « الدينية / السياسية » .

وقد قام حزب البعث الصدامي الدموي ، بحملة إبادة شاملة ضد العلماء ، لم تقف عند حد سفك دماء العشرات من آيات الله من علماء الشيعة كما حاول الإعلام الغربي أن يصور لنا في مصر والعالم الإسلامي ، لأنها كانت غضبه على الإسلام ذاته ، فقد نال شباب الحركة الإسلامية من أهل السنة هناك بمختلف مذهبياتهم الفكرية والفقهية خاصة جماعة الإخوان المسلمين وجماعة الجهاد وحزب التحرير نصيباً ضخماً من البطش والإرهاب والتعذيب والسحل وكهربة الجسد والحبس الانفرادي وهتك العرض ثم الإعدام .

القومية البعثية فى
نظر الإسلام

وقبل أن ننتهى من هذه الدراسة الشاقة المؤلمة في سبر غور البعث العراقي الذي يتولى منه صدام حسين منصب « أمين سر القطر » لنؤكد لكل مسلم أن صدام حسين « الأمس » هو نفسه صدام حسين « اليوم » وهو ذاته صدام حسين « الغد » إن شاء ربك أن يبقى له غد .

ويعتبر المسلمين من هذا الدرس القاسي الذي ألقمهم إياه صدام حسين يوم أن جرّهم إلى حرب ضروس دفع الجميع بلا استثناء ثمنها غالياً ، ثم هاهو اليوم يدوس على رقابهم بنفس عصبيته المقيته ومطامعه الجامحة لا ليسلب حقاً ، ولا ليسرق سلاحاً ، ولا ليعذب أبناء جلدته ، إنما هو قد أغار على وطن مسلم بجنود فرعون الظالمين فدهس أبنائها ودنس ترابها وهتك أعراض نسائها ونهب بنوكها وسرق قصورها وأسقط حكومتها ثم حط رحاله فوق أرضها باسم البعث العربي الاشتراكي وتحت لواء القومية العربية والوطن العربي الواحد .

قبل أن ننتهي من هذه الدراسة رأينا أن نعرض رأى علماء المسلمين لافي حربه مع إيران ولا في اغتصابه للكويت الحبيب ولا في تهديده للأرض التي شرفت بمولد خير الأنبياء .. فكل ذلك كان في رأينا أمر قائم وليس بالغريب ، لأن الفكرة التي تبناها ، والعقيدة التي آمن بها هي عقيدة « البعث العلمانية » .

ومن هنا فإن الأولى بنا أن نعرف رأى علماء المسلمين في هذه العقيدة عسى أن يستطيع حكامنا وشعوبنا اتخاذ موقف حاسم جازم بشأنها ، وأن يهبوا جميعاً - نذيراً للغد - للقضاء عليها وحصارها وتضييق السبل على أهلها بالسلم أو بالقوة إن لزم الأمر في إطار شرع الله . وهنا نستعرض آراء :

١ - *فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز* .

٢ - *فضيلة الشيخ محمد الغزالي* .

٣ - *فضيلة الشيخ عبد الله ناصح علوان* .

٤ - *فضيلة الدكتور المكاشف طه الكباش* . القاضي السابق بالمحكمة العليا بالسودان وأستاذ الشريعة الإسلامية المساعد بجامعة الملك سعود بالرياض .

١ - إن دعوة القومية دعوة جاهلية مغلوطة تفرق بين المسلمين وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي وتبيح موالاة كفار العرب وملاحدتهم واتخاذهم بطانة وهذا مخالف لكتاب الله مصادم لشرعه متعد لحدوده .

عبد العزيز بن باز

٢ - هؤلاء الذين يلبسون مسوح العروبة مزقوا النقاب عن سريرتهم الخادعة وأميطوا اللثام عن وجوههم الكالحة .

محمد الغزالي

٣ - روى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ، ولايتحاشى من مؤمنها ، ولايفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه ... »

والقومية دعت أبنائها إلى الخروج على جماعة الأمة لكونها جاحدة لأخوة الإسلام وعصبية لبث الفرقة بين المسلمين ولكونها جاحدة لحضارة الإسلام وحاكميته .

عبد الله ناصح علوان

٤ - هذا البعثي تطاول على الله وأنكر الحساب والجنة والنار وهذا كفر صريح ،

وهؤلاء يرون الدين الإسلامي مجرد انتفاضة تعبر عن حقيقة الأمة وليس وحياً ربانياً .

ولقد حمل حزب البعث معه بذور السلبيات الكامنة فيه وهي التمزق المستمر إلى أجنحة تهدف كل منها إلى تحقيق مصلحة أفراد وتجمعات شكلية تحت شعارات « من يزايد أكثر يكسب أكثر » .

د. المكاشفي طه الكباش



رأى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد

فلايشك مسلم له أدنى بصيرة بالتاريخ الإسلامي في فضل العرب المسلمين وما قاموا به من حمل رسالة الإسلام في القرون المفضلة ، وتبليغه لكافة الشعوب ، والصدق في الدعوة إليه ، والجهاد لنشرة والدفاع عنه ، وتحمل المشاق العظيمة في ذلك ، حتى أظهره الله على أيديهم وخفقت رايته في غالب المعمورة ، وشاهد العالم على أيدى دعاة الإسلام في صدر الإسلام أكمل نظام وأعدل حاكم ، ورأوا في الإسلام كل ما يريدون وينشدون من خير الدنيا والآخرة .

ثم بعد هذا الشرف العظيم والنصر المؤزر من المولي سبحانه وتعالى نرى نفراً من أبنائنا يخدعون بالمبادئ المنحرفة ويدعون إلى غير الإسلام ، وقد اختلف الدعاة إليها في عناصرها :

فمن قائل أنها : الوطن ، والنسب ، واللغة العربية .

ومن قائل أنها : اللغة فقط .

ومن قائل أنها : اللغة مع المشاركة في الآلام والآمال .

أما الدين فليس من عناصرها عند أساطينهم والصرحاء منهم ، وقد صرح كثير بأن الدين لا دخل له في القومية ، وصرح بعضهم أنها تحترم الأديان كلها ، وهدفها كما يعلم من كلامهم هو التكتل والتجمع والتكاتف ضد الأعداء ولتحصيل المصالح المشتركة ، ولاريب أن هذا غرض نبيل وقصد جميل .

فإذا كان هذا هو الهدف ، ففي الإسلام من الحث على ذلك والدعوة إليه ماهو أكمل وأعظم مما يرتجى من وراء القومية .

ومعلوم عند كل ذي لب سليم أن التكاتف والتعاون الذي مصدره القلوب والإيمان بصحة الهدف وسلامة العاقبة في الحياة وبعد الممات أعظم من التعاون والتكاتف على أمر اخترعه البشر ولم ينزل به وحي السماء ولا تؤمن عاقبته لا في الدنيا ولافي الآخرة .

---

(١) من كتاب نقد القومية العربية / المكتب الإسلامي / ط ٤ عام ١٤٠٠ هـ .

وهذا على سبيل التنزل لدعاة القومية والرغبة في إيضاح الحقائق لطالب الحق ، وإلا فمن خبر أقوال القوميين وتدبر مقالاتهم وأخلاقهم وأعمالهم ، عرف أن غرض الكثيرين منهم من الدعوة إلى القومية أمور أخرى يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع ، ومن تلك الأمور :

- فصل الدين عن الدولة .
- إقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع .
- إطلاق الحرية للنزعات الجنسية والمذاهب الهدامة .

ومن زعم منهم أن الدين من عناصرها ، فقد فرض أخطاء على القوميين وقال عليهم ما لم يقولوا ، لأن الدين يخالف أسسهم التي بنوا القومية عليها ويخالف صريح كلامهم ويباين مايقصدونه من تكتيل على اختلاف أديانهم تحت راية القومية .

ولهذا تجد من يجعل الدين من عناصر القومية يتناقض في كلامه ، فيثبته تارة وينفيه تارة أخرى ، وما ذلك إلا لأنه لم يقله عن عقيدة وإيمان ، وهكذا قول من قال : إنها تخدم الإسلام أو تسانده ، وكل ذلك بعيد عن الحقيقة والواقع ، وإنما الحقيقة أنها تنافس الإسلام وتحاربه في عقر داره ، وتطلى ببعض خصائصه ترويجاً لها وتلبيساً أو جهلاً وتقليداً .

وإذا عرفت أيها القارئ ما تقدم ، فاعلم أن هذه الدعوة أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول وأنواع من الخيال وأساليب من الخداع ، فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام ، واغتر بها كثير من الأغمار ومن قلدهم من الجهال ، وفرح بذلك أرباب الالحاد وخصوم الإسلام في كل مكان .

ومن المعلوم من دين الإسلام أن هذه الدعوة وغيرها من القوميات دعوة باطلة وخطأ عظيم ومنكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله وذلك لوجوه :

الوجه الأول : إنها دعوة تفرق بين المسلمين ، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي ، وتفرق بين العرب أنفسهم لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها ، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم ، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزاباً ، فكرة باطلة ، تخالف مقاصد الإسلام .

ومن العجيب الذي لاينقضى أن كثيراً من شبابنا وكتابنا خفيت عليهم هذه الحقيقة حتى ظنوا أن التكتل والتجمع حول القومية العربية والمناصرة لها أنفع للعرب وأضر للعدو من التجمع والتكتل حول الإسلام ومناصرته ، وهذا بلا شك ظن خاطئ ،

واعتقاد غير مطابق للحقيقة .

نعم بلا شك إنه يحزن المستعمر ويقلق راحته كل تجمع وتكتل ضد مصلحته ولكن خوفه من التجمع حول الإسلام أعظم وأكبر ، ولذلك رضى بالدعوة إلى القومية العربية وحفز العرب إليها ليشغلهم بها عن الإسلام ، وليقطع بها صلتهم بالله سبحانه لأنهم إذا فقدوا الإسلام حرموا ما ضمنه الله لهم من النصر الذي وعدهم .

وكما أنها إساءة إلى الإسلام ومحاربة له في بلاده ، فهي أيضاً إساءة إلى العرب أنفسهم لكونها تفصلهم عن الإسلام الذي هو مجدهم الأكبر .

الوجه الثاني : إن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها وأبدى في ذلك وأعاد في نصوص كثيرة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله :

كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة ، فهو من عزاء الجاهلية ، بل لما اختصم مهاجرى وأنصارى فقال المهاجرى : ياللمهاجرين ، وقال الأنصاري : ياللأنصار ، قال النبي ﷺ :

« **أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم** » وغضب لذلك غضباً شديداً – انتهى –

وقال تعالى :

﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهلية ﴾

وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ أنه قال : « **ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية** » .

ولا ريب أن دعاة القومية العربية يدعون إلى عصبية ويغضبون لعصبية ويقاتلون على عصبيته .

وهناك شبهة تقول : أنه قد روى عن النبي ﷺ أنه قال :

« إذا ذل العرب ذل الإسلام » ، ورواه بعضهم بلفظ : « إذا عز العرب عز الإسلام » .

واستدلوا بذلك على أن انتصار القومية العربية والدعوة إليها انتصار للإسلام والدعوة إليه .

والجواب أن ذلك سفسطة ومغالطة في الحقائق ، وتأويل للحديث على غير تأويله ، لأن الواقع يشهد بخلاف ما ذكره القائل ، فقد ذل العرب يوم « بدر » ويوم « الأحزاب » ، وصار في ذلهم عز الإسلام وظهوره ، وانتصر العرب يوم « أحد » وصار في انتصارهم ذل للمسلمين ومضرة عليهم ، ولكن الله سبحانه لطف بأوليائه وأحسن لهم العاقبة .

وهل يمكن أن نقول :

أن انتصار العرب الكافرين بالله المحاربين لدينه انتصار للإسلام ؟

ثم أعود فأوضح أن هذا الحديث المذكور ضعيف الإسناد فقال الحافظ الذهبي في « الميزان » في ترجمة « محمد » المذكور ، قال أبو حاتم : لا أعرفه ، وقال الأزدي : منكر الحديث ، انتهى .

وقد أورد المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني هذا الحديث في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم (١٦٣) في بحث طويل ومفيد .

الوجه الثالث : والدليل الثالث على بطلان دعوة القومية أنها سلّم إلى موالاة كفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة ، والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم ، ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير والمخالفة لنصوص القرآن والسنة الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة والنصوص في هذا المعنى كثيرة .

هؤلاء القوميون يدعون إلى التكتل حول القومية العربية مسلمها وكافرها ، يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة ، نخشى أن تسلب ثرواتنا بأيدي أعدائنا ، فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم تحت لواء القومية العربية ، ويقولون : إن نظامها لا يفرق بين عربي وإن تفرقت أديانهم ، فهل هذا إلا مصادمة لكتاب الله ومخالفة لشرع الله ، وتعد لحدود الله ، وموالاة ومعاداة وحب وبغض على غير دين الله ، فما أعظم ذلك من باطل وما أسوأه من منهج .



رأي فضيلة الشيخ الداعية محمد الغزالي(١)

لا مكان للإلحاد بيننا

ما هؤلاء الناس ؟ إنهم ليسوا عرباً ولا عجماً ولا روس ولا أمريكان !! أنهم مسخ غريب الأطوار صفيق الصياح ، بليت به هذه البلاد إثر ما صنعه الاستعمار بها وترك بذوره في مشاعرها وأفكارها ، فهم - كما جاء في الحديث - من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . بيد أنهم عدو لتاريخنا وحضارتنا وعبء على كفاحنا ونهضتنا ، وعون للحاقدين على ديننا والضانين بحق الحياة له ولمن اعتنقه . إن هؤلاء الناس الذين برزوا فجأة وملأت ضجتهم الأودية كما تملأ الضفادع بنقيقها أكناف الليل ، يجب أن يمزق النقاب عن سريرتهم وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم حتى لا يروج لهم خداع ولا ينطلي لهم زور . إن هؤلاء الذين يلبسون مسوح العروبة ويندسون خلال صفوف المجاهدين ، ويزعمون أنهم مبشرون بالقومية العربية ورافعون لألويتها ، وفي الوقت نفسه ينسحبون من تقاليد العروبة ويهاجمون أجل ما عرفت به ، ويبعثرون العوائق في طريق الإيمان ورسالته . إن هؤلاء الناس ينبغي أن يماط اللثام عن وجوههم الكالحة وأن تلقى الأضواء على وظيفتهم التي يسرها الاستعمار لهم ووقف بعيداً يرقب نتائجها المرة ، وما نتائجها إلا الدمار المنشود لرسالة القرآن وصاحبها العظيم محمد بن عبد الله ﷺ .

لقد قرأنا ما يكتبون وسمعنا ما يقولون ولم يعوزنا الذكاء لاستبانة غاياتهم ، فهم ملحدون مجاهرون بالكفر . يقولون في صراحة : ((الإسلام نهضة عربية فار بها هذا الجنس العظيم في القرون الوسطى ، واستطاع في فورته العارمة أن يجتاح العالم بقيادة رجل عبقري هو الزعيم الكبير محمد ﷺ))(٢) أي أن هذا الدين الجليل نبت من الأرض ولم ينزل من السماء ، وأنه انطلاقة شعب طامح فاتح ، وليس هداية مثالية فدائية جاءت من عند الله لتنقذ العرب من جاهلية طامسة كانوا بها في مؤخرة البشر إلى حنيفية سمحة رفعت خسيستهم ثم إنتشر شعاعها بعد في أنحاء الأرض كما تنتشر الأضواء في عرض الأفق لدى الشروق . والفضل في ذلك كله لله وحده الذي اصطفى محمداً وامتنّ عليه بالهدى والحق إن الزعم بأن الإسلام ، فورة عربية ، أكذوبة كبرى

---

(١) من كتابه : « مع الله » / ص ٢٥٤ .

(٢) من كلمات ميشيل عفلق وعقيدة صدام حسين .

وأضلولة شائنة ، وإن هذا القول ليس تكذيباً للإسلام فقط بل دعوة خطيرة إلى تكذيب الديانات كلها ، وإلى إشاعة الكفر والفسوق والعصيان في أنحاء الأرض ، والغريب أن هؤلاء الناس يخاصمون الإسلام بعنف ، يحاربون أمته بجبروت ، ويهادنون الأديان الأخرى من سماوية وأرضية ، كأن الإسلام هو العدو الذي كلفوا بإستئصاله وحده ، لا بل هو العقبة الفذة التي وضعت المعاول في أيديهم لإهالتها تراباً . أجل ، وهل للإستعمار عدو في هذه البلاد إلا الإسلام ؟ إنه مصدر المقاومة العنيدة ، وروح الكفاح الباسل الذي أعيي المهاجمين وأحبط مؤامراتهم ، ومن ثم فعلى الإستعمار أن ينسج خيوطه حوله ليقتله ويحول بينه وبين الحياة الكريمة . ولقد ابتدع القوميات الضيقة وإستجباها بشتى الأساليب لينال من كيان هذا الدين ، فلما سقطت أمام الإسلام في المعركة دس أتباعه تحت لواء القومية العربية ، وزودهم بضروب من الإدعاء ليزحموا العرب المخلصين في هذا الميدان ، ولينالوا من الإسلام بطريقة أخرى . وتفسير القومية العربية هذا التفسير الكفور الكنود هو حرب أخرى ضد الإسلام ، وإنه لجدير أن يتسمى هؤلاء بأتباع القومية العبرية لا العربية . أليسوا يعملون لمصلحة الإستعمار وإسرائيل ؟ ولقد مرت أربعة عشر قرناً على إشتباك العروبة بالإسلام أو بتعبيرنا نحن أهل الإيمان على تشريف الله للعرب بحمل هذه الأمانة وإبلاغها للناس . ونظرة إلى الماضي البعيد تعرفنا بسهولة أن العرب مرت عليهم أدهار قبل الإسلام لم يكونوا فيها شيئاً مذكوراً ، ثم جاء هذا الدين فدخلوا التاريخ به وطار صيتهم تحت رايته ، وصدق الله إذا يقول : (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسألون) ثم أخطأ العرب ، فظنوا هذا الدين العالمي الذي نزلت فيهم آياته يمنحهم امتيازاً خاصاً ، ويجعلهم عنصراً أرقى من سائر الأجناس ، ونشأ عن هذا الخطأ رد الفعل الذي لابد منه ، فقامت الشعوب الأخرى تدافع عن قيمة دمائها وكرامة عنصرها ، وهذه الأغلاط المتبادلة علتها حنين البشر إلى الجاهلية وإستثقالهم مؤنة السعي لتحصيل الكمال الإنساني ، فإذا عزّ على شخص تافه أن يكون تقياً ينسبه عمله إلى المجد والعلا ، ذهب ينتحل نسباً آخر إلى أسرة أو وطن أو جنس ، ليرتفع به دون جهد ، وتلك كلها عصبيات باطلة ونزعات نازلة ، ولا محل لها في دين رب العالمين .



رأي فضيلة الشيخ عبد الله ناصح علوان

فضل العرب ودعاوي القومية

روى الترمذي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه :

« يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت : يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله ؟ قال : تبغض العرب فتبغضني » .

ومن هنا عرف السر أن الله جلت حكمته اختار لدعوته أرض الحجاز والشام في أوسط بقاع الأرض لتكون هذه البلاد وسطاً بين شرق وغرب فتقدم هذا وذاك ما عندها من خير تصلح ما تراه من فساد .

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ . البقرة ١٤٣ .

ولا تقتضي هذه الأفضلية للعرب التي أفصح الرسول – صلى الله عليه وسلم – عنها وأشار القرآن الكريم إليها أن يفخر بها العرب على غيرهم من المسلمين . وأن يأخذهم العجب والغرور بإنتسابهم إليها وإلا فإنها ستنقلب إلى عصبية منتنة وجاهلية حمقاء .

ولا بأس أن نسأل هل القومية تتنافى مع نظام الإسلام ؟

نقول وبالله التوفيق : تتنافي القومية كعقيدة مع الإسلام في ما يلي :

- لكونها فكرة مستوردة وافدة لا تمت إلى العقيدة الإسلامية بصلة أو بنسب والإسلام لا يسمح للمسلم بحال أن يستقي عقيدته من غير عقيدة الإسلام وأن يستمد منهج حياته من غير مناهج القرآن . لأن في ذلك زعزعة لعقيدته وتمييعاً لشخصيته وامتهاناً لذاتيه .

- لكونها جاحدة لأخوة الإسلام .

والإسلام يعتبر رابطة الأخوة الإسلامية فوق رابطة الدم وعنصرية العشيرة .

﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ (الحجرات : ١٠) .

- لكونها جاحدة حاكمية الإسلام .

والإسلام لا يعتبر من ينتمي إليه مسلماً إلا أن يعتقد إعتقاداً جازماً باسلامية الشريعة :

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾

آل عمران : ٨٥ .

فالقوميون بدعوتهم إلى القومية ينادون بصراحة بالعلمانية ومعناها : فصل الدين عن الدولة وإبعاد الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة .

● لكونها جاحدة حضارة الإسلام :

والإسلام يعتبر كل مسلم قدم للحضارة يداً سواء أكان عربياً أو أعجمياً ، أبيض أو أسود مساهماً في بناء الحضارة الإسلامية حيثما وجد وأينما وجد ، لكونه ينتمي إلى هذا الإسلام العظيم ويتشرف بالانتساب إليها .

ونحن لو قلبنا صفحات التاريخ فماذا الخبر ؟

إن الموالي من غير العرب قد تولوا أخطر المناصب العلمية والدينية والسياسية والإجتماعية في الدولة الإسلامية .

فالرسول ﷺ هو الذي عيّن « بلالاً » رضي الله عنه والياً على المدينة وفيها وجوه القوم ممن لا ينكر أحد فضلهم ومآثرهم ، وهو الذي سلّم « أسامة بن زيد » ابن مولاه قيادة جيش كبير فيهم أبو بكر وعمر .



رأي قاضي المحكمة العليا بالسودان
د. المكاشفي طه الكباشي[1]

يقول الدكتور المكاشفي طه الكباشي

لقد إشتدت وقويت شوكة الحملة على الشريعة الإسلامية في الداخل والخارج ، فانقضت الشيوعية الصليبية والصهيونية والماسونية ومن لف لفهم على محاربة الإسلام .

لقد لاحظنا بعد الثورة الشعبية الإسلامية ظهور بعض الأصوات النشاز من الشيوعيين وأذنابهم ومن حالفهم يشككون في شرع الله تعالى وفي إسلامية التشريعات التي صدرت ويصفونها بشريعة القطع والجلد والبتر وأنها لا تساوي ثمن المداد أو الحبر الذي كتبت به وغير ذلك من الاعتراضات والترّهات » .

ولذلك وغيره استعرض الدكتور الكباشي أشهر أربع قضايا سياسية شهدتها ساحة القضاء السوداني في هذه الآونة وكان آخرها قضية أفراد حزب البعث العربي الإشتراكي فيقول[2] :

(١) من كتابه : تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان بين الحقيقة والإثارة .

(٢) المصدر المذكور . ص ١١٤ .

كانت قضية حزب البعث العربي الإشتراكي الشهيرة أمام المحكمة الجنائية رقم (١) بأم درمان ، والتي تناولتها بالتعليق أجهزة الإعلام العالمية وصحف البعث في لندن والعراق وغيرها ، وأثار بعض المتشككين حولها الشكوك والشبهات ، وأنها محاكمة للفكر والرأي ... إلخ .

وقبل تناول هذه الشبهات حول هذه القضية ، نذكر بعض حيثياتها وهى ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

المحكمة الجنائية رقم (١)

أمام السيد / د. المكاشفي طه الكباشي

رئيس الجهاز القضائي ورئيس المحكمة الجنائية رقم (١)

محاكمة / المتهمين :

١ – بشير حماد إبراهيم .

٢ – الجيلي عبد الكريم إبراهيم .

٣ – حاتم عبدالمنعم عبد الهادي .

٤ – عثمان الشيخ الأمين .

الحكم :

بتاريخ ١٩٨٤/٦/٢٧ م فتح البلاغ ضد المتهمين بواسطة النيابة بعد أن تم القبض عليهم بواسطة جهاز أمن الدولة بتاريخ ١٩٨٤/٥/١٤ ، وقد تم القبض على المتهمين الأول والثاني بالفتيحاب بمدينة أم درمان وهما يزاولان الطباعة حيث وجدت بحوزتهما عدد ٣ ماكينة رونيو وأدوات طباعة وكميات من المنشورات ومجلة الهدف الخاصة بحزب البعث العربي المحظور . وأثناء مراقبة المنزل المذكور تم القبض على المتهم الثالث . وبإرشاد وإشارة المتهم الثاني تم القبض على المتهم الرابع وتم القبض على المتهمة الخامسة : آمنة يوسف الخليفة إبراهيم صاحبة المنزل . أشرفت نيهابة

الخرطوم على التحريات في هذا البلاغ .

بعد مناقشة المتحري على ضوء المستندات المقدمة من قبل هيئة الاتهام والدفاع استمعت المحكمة إلى عدد من شهود الاتهام وهم من الذين داهموا المنزل الذي وجد بداخله المتهمون وبحوزتهم المعروضات والمستندات الخاصة بحزب البعث الإشتراكي المحظور ، أو من الذين حضروا وشاهدوا وكانوا موجودين في مسرح الجريمة . وبعد ذلك استجوبت المحكمة المتهمين وسألتهم عن اعترافاتهم القضائية التي أدلوا بها أمام القاضي أو التي أدلوا بها أمام المتحري .

وبعد مراجعة المحكمة وإطلاعها على أقوال المتهمين واعترافاتهم بانتمائهم لحزب البعث العربي الإشتراكي المحظور ، سواء اعترافاتهم في مرحلة التحري ودراستها للبيانات المقدمة . رأت المحكمة إضافة بعض مواد قانون العقوبات لأن أحد المتهمين ذكر أن حزب البعث العربي الإشتراكي ترك حرية الأديان والمعتقدات للإنسان دون ما يحددها وأن الإسلام في نظر الحزب دين وعقيدة وليس دين دولة .

وقررت المحكمة استدعاء شهود خبرة ودراية من أساتذة العلوم السياسية بالجامعات للإدلاء بشهاداتهم حول مبادئ وأهداف حزب البعث العربي الإشتراكي ومفهوم القومية عندهم وموقفهم من الدين الإسلامي واستمعت المحكمة لشهادتهم في عدة جلسات وأعطت الفرص الكافية للاتهام ، والدفاع لمناقشتهم حول آراء وأفكار ومعتقدات حزب البعث العربي الإشتراكي المحظور ولقد خلصت المحكمة بعد هذا إلى الآتي :

- موقف حزب البعث العربي الإشتراكي من الدين موقف غامض في العموم ومتناقض أحيانا ، فيري أبرز مؤسسي الحزب ومنظريه ميشيل عفلق النصراني الكاثوليكي ، أن الدين لابد منه في بناء القومية كعقيدة وليس كشريعة ، فيري في ص ١٣ و ١٣٢ من كتابه « في سبيل البعث » أن الدين تعبير صادق عن إنسانية الإنسان فمهما تبدلت أشكاله فلا يمكن أن يزول .

ولقد دعا ميشيل عفلق إلى علمانية حديثة تحرر السياسة من الدين ، فقال في ص ٩١ من كتابه « في سبيل البعث » : ((مادام الدين منبعا فياضا للروح ، فالعلمانية التي نطلبها للدولة هي التي بتحريرها للدين في ظروف السياسة وملابساتها له بأن

ينطلق في مجاله الحر في حياة الأفراد والمجتمع)) .

ويعتبر ميشيل عفلق أن الإسلام جزء من التراث العربي جاهلياً كان أو غير جاهلي فقال في ص ١٤٠ من نفس الكتاب السابق :

((فهذه الأمة التي أفصحت عن نفسها وعن شعورها بالحياة إفصاحاً متعدداً في تشريع حمورابي وشعر الجاهلية ودين محمد وثقافة عصر المأمون فيها شعور واحد يهزها في مختلف الأزمان ولها هدف واحد بالرغم من فترات الإنقطاع والانحراف)) .

والدعوة إلى العلمانية وفصل الدين عن الدولة هي من المبادئ الأساسية لحزب البعث العربي الإشتراكي ويسايرهم في ذلك كل الأحزاب العلمانية الأخرى كالحزب القومي السوري الإجتماعي . فقد نص في المادة ، التاسعة من دستوره على : « فصل الدين عن الدولة » . وهذا يسلب الدين الإسلامي من أهم خصائصه وهى الحاكمية والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ فالدين الإسلامي منهاج كامل للحياة ينظم كل شئونها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وله في كل جانب من حولها تشريع وهدى .

ودعا ميشيل عفلق في كتابه « سبيل البعث » إلى **التحرر من كل العقائد الدينية القديمة** غير أنه نصح أن يتم هذا التحرر بالطرق الخفية خشية استفزاز الجماهير المتدينة فقال في ص ١٣٤ - ١٣٥ من كتابه المذكور :

((إن جمهور شعبنا مازال متأخراً خاضعاً لمؤثرات رجال الدين ، ولو أننا ذهبنا إلى الشعب نطعن بالدين ونتبجج بالكفر ونتحدى شعور الشعب فيما يعتبره هو مقدساً وثميناً نكون بدون فائدة وبدون أي مقابل قد أغلقنا أبواب الشعب في وجه الدعوة)) .

فمشيل عفلق يحوم حول الكفر ولا يردفيه ، ولكن بعض قادة البعثيين ومنهم إبراهم خلاص - وهو من العناصر النشطة في الحزب ومن العسكريين - صرح بالكفر

علانية في مقال نشرته مجلة « **جيش الشعب** » الرسمية والناطقة باسم الجيش السوري في شهر مايو ١٩٦٧ م فقال : « والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هو خلق الإنسان الإشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع والرأسمال والاستعمار والمنتفعين وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي محنطة في متاحف التاريخ ، ونحن إذ نشترط في إنساننا الجديد رفضه للقيم السابقة علينا أن نضع قيماً جديدة محدود ة ليست هناك سوى قيمة واحدة وهى الإيمان بالإنسان القدري الجديد ، الإنسان الذي لا يعتمد إلا على نفسه وعلمه وما يقدمه للبشرية جمعاء لأنه يعلم أن نهايته الحتمية الموت وليس غير الموت . لن يكون هناك نعيم أو جحيم بل سيصبح ذرة تدور مع دوران الأرض لذلك هو مضطر إلى أن يقدم كل ما يملك لأمته وإنسانيته دون ما مقابل » .

فهذا البعثي يتطاول على الله سبحانه وتعالي وينكر الحساب والجنة والنار وهذا كفر صريح بالنسبة له لا ينسحب على الآخرين إلا أنه يحتمل أن يكون من أهداف البعثيين الخفية التي صرح بها هذا الشخص ونحن غير مطالبين بما يخفى وعلينا بالظاهر والله تعالى يتولي السرائر فيعذب من كفر ويثيب من آمن . وشاءت قدرة الله سبحانه وتعالى أن ينشر هذا الكلام - كلام إبراهيم خلاص في مايو ١٩٦٧ م - وبعد شهر أي في يونيو سنة ١٩٦٧ م ، كانت هزيمة حزيران التي سلم فيها الجيش السوري الجولان لإسرائيل . **والقومية عند البعثيين ليست مبدأ وهدفاً فقط بل عقيدة ودين .**

ويعرف ميشيل عفلق القومية العربية ص ٥ ، في كتابه (في سبيل البعث) بأنها ليست نظرية ولكنها مبعث النظريات ولا هى وليدة الفكر بل مرضعته وليست مستعبدة الفن بل نبعه وروحه كل شئ وهى قدر محتوم محبب ، وهى نفس العاطفة التي تربط الفرد بأهل بيته لأن الوطن بيت كبير والأمة أسرة واسعة والقومية ككل حب تفعم القلب فرحاً وتشيع الأمل في جوانب النفس .

وذكر الأستاذان « **الحكم دروزة** » و « **حامد الجيدري** » في كتابهما (مع القومية العربية) ص ٣١ : أن دعاة القومية العربية يقولون إن كل ما في واقعنا اليوم

يؤكد بأن انعطافنا التاريخي وانقلابنا الجذري **وثورتنا الحقيقية لا يمكن أن تتم إلا بعقيدة** ، **عقيدة** تضع القيمة الحقيقية للفرد العربي ، **وعقيدة** تضع المحتوى الشامل للمجتمع العربي **عن طريق نظام اشتراكي عادل** ، والعدالة السياسية **عن طريق نظام ديمقراطي** سليم والعدالة الاجتماعية الخاصة **عن طريق نظم تربوية** بناءة تضع مفهوماً جديداً خلاقاً للمرأة والأسرة والمدرسة والهيئات ومختلف مرافق الحياة الإجتماعية[1] **ويقول علي ناصر الدين** من دعاة القومية العربية : **القومية نفسها دين عندنا** نحن القوميين المؤمنين العرقيين من مسلمين ومسيحيين **لأنها وجدت قبل الإسلام** ، وقبل المسيحية في هذه الحياة الدنيا مع دعوتها إلى أسمى ما في الأديان السماوية من أخلاق ومعاملات وفضائل وحسنات . ويقول **محمود تيمور**[2] في مقال نشر في مجلة العالم العربي العدد ١٧ بعنوان : « **الفكرة القومية العربية لهي نبوة هذا العصر في مجتمعنا العربي** » .

ويرى هؤلاء أن **الدين الإسلامي** مجرد انتفاضة تعبر عن حقيقة الأمة **وليس وحياً ربانياً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وليهب لهم نظاماً في الحياة وشرعة في الوجود** .

ولقد حمل حزب البعث معه بذور السلبيات التي لا تزال كامنة فيه حتي الآن وهى التمزق المستمر إلى أجنحة تهدف كل منها إلى تحقيق مصلحة أفراد وتجمعات شللية ، وتتستر هذه التمزقات بشعارات التقدمية والثورية مع تخوين الأخرين وإفراغ كل مضمون ثوري وأخلاقي من فكرهم وسلوكهم وذلك تحت شعار من يزايد أكثر يكسب أكثر .

ولأن المسلم لا يعتبر خارجاً عن الإسلام ولا يحكم عليه بالردة إلا إذا انشرح صدره للكفر واطمأن قلبه به ودخل فيه بالفعل لقوله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من

---

(١) أي أنها عقيدة تستبدل الإسلام بنظام اشتراكي ونظام ديمقراطي ونظام تربوي .

(٢) الكاتب القصصي الذي روج له الإعلام الناصري والقومي يرى أن القومية هى نبوة العصر الذي لم تعد نبوة الإسلام صالحة له .

الله ولهم عذاب عظيم ﴾ . فلابد أن يصدر منه ما يدل على كفره دلالة قطعية ولا تحتمل التأويل إعتقاداً أو فعلاً أو قولاً ، وإذا وجد من المخارج ما يخرجه من حظيرة الكفر ويدخله في حظيرة الإيمان أخذ به عملاً ، يقول الإمام مالك - رضى الله عنه - : « من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجهاً ويحتمل الإيمان من وجه حمل أمره على الإيمان » .

هذا مما حدا بالمحكمة أن تنظر في مبادئ وأفكار ذلك الحزب وتناقشه من كل الجوانب ، لأن بعض المبادئ تتصل بجانب هام في عقيدة المسلم . وغرض المحكمة من المناقشة هو تصحيح المفاهيم الخاطئة ما لم يصر صاحبها على خطئه . فإذا أصر فلابد من عقابه حسب نصوص الشرع والقانون . وللمحكمة أن توجه بما تراه هو الصواب الأصلح فإن من مهام المحاكم في ظل شرع الله سبحانه وتعالى التوجيه والإصلاح والإرشاد لأن فلسفة العقاب في الشرع الإسلامي تقوم على التأديب والتهذيب والكفارة والتطهير .

وبعد التوضيح الشامل من قبل شهود المحكمة حول مبادئ وأفكار حزب البعث وحول مضمون الدولة العلمانية والاعتقاد بها وأثر ذلك في عقيدة المسلم باعتبار أن الإسلام دين ودولة وبعد مناقشة الشهود من قبل المحكمة وهيئة الإتهام وهيئة الدفاع حول هذا الأمر .

استجوبت المحكمة المتهم الأول للمرة الثانية فاعترف بانتمائه إلى حزب البعث المحظور إلا أنه يرى ويعتقد أن الإسلام دين ودولة ، أي عقيدة ونظام حكم ، وهو صالح للتطبيق في أي عصر من العصور وأنه كمسلم يدعو للإسلام وللحكم به وإن تعارض ذلك مع بعض آراء حزب البعث المحظور . وأما المتهمون الآخرون فأنكروا صلتهم بحزب البعث وانتماءهم إليه ، وذكروا أنهم يعتقدون ويقرون بأن الإسلام دين ودولة وصالح للتطبيق في كل عصر وأوان .

ولقد صححت المحكمة مفهوم بعضهم الخاطئ عن طواعية وإختيار ، ووصلت إلى أن حزب البعث العربي الاشتراكي يحوم حول الكفر ولا يرد فيه وهو حزب علماني يؤمن بفصل الدين عن الدولة ، وفصل الدين عن الدولة كفر في حد ذاته لأن ذلك يسلب الدين

الإسلامي أهم خصائصه وهى الحاكمية . وليست هذه محاكمة للفكر والرأي وإنما هي تصحيح للمفاهيم الخاطئة التي بدأت تروج في العالم العربي وهى بطبيعتها علمانية صرفة ، وهذا لا يتعارض مع عمل القضاء بل من واجباته .

وليست في هذه القضية بطولة لأفراد حزب البعث العربي الاشتراكي لأن النظام السابق نفسه كان لا يريد محاكمتهم وكان يتدخل كثيراً لتعطيلها لموقفه السياسي المؤيد للدول التي تدعم حزب البعث العربي الإشتراكي .



كلمة أخيرة

لقد حاولنا أن نُشهد العالم الإسلامي والعربي على خطورة البعث وتآمر صدام الأسود ، وكنانتمنى أن يتم نشره قبل وقوع كارثة إنتهاك حرمة الكويت حتى يتنبه العرب والمسلمون إلى ماهية هذا الطاغية وحقيقة أطماعه . بعدما أعانه المسلمون والعرب وساندوه في محنته ولم يتخلوا عنه عندما استغاث بهم .

إن سفاح العراق يبحث دائما عن ضحية ليشبع فيها رغباته الدموية فبعد أن قاتل إيران ثماني سنوات ، إنقض على الكويت المسلمة ثم شرع يهدد بالإنقضاض على أرض الحرمين المقدسة الطاهرة ليدنس حرمتها ويبدد أمنها الذي يشع على العالم ، وأخذ يهوِّن من قدرها أمام كفار العالم فنسأل الله أن يرد كيده في نحره وأن يكون عملنا هذا ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى وحده ، وأن يؤجرنا عنه خيراً ، وأن يجعله فى ميزان حسناتنا يوم يقوم الحساب .

أبو إسلام أحمد عبد الله

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع البعثية

١ – الياس فرح – البعث وفلسفة عدم الإنحياز
الدار العربية – بغداد / ١٩٨٢

٢ – برزان التكريتي – محاولات أعتيال صدام حسين
الدار العربية – بغدا / ١٩٨٢

٣ – خير الله طلفاح – العرب أيامهم وأحوالهم (ط١)
دار الحرية / بغداد / ١٩٨٢

٤ – د. رياض الدّباغ
– د . صباح محمد – مصادر الفلسفة التربوية (ط١)
جامعة الموصل / ١٩٨٤

٥ – زهير الخالدي – أيام من حياة صدام حسين
الشئون الثقافية / بغداد / ١٩٨٧٧
– رجال في تاريخ العراق
– العراق منذ نشوء الحضارة حتى صدام حسين
دار الحرية / بغداد

٦ – سامي الجندي – البعث دار النهار – بيروت / ١٩٦٩

٧ – شبلي العيسمي – العلمانية والدولة الدينية الشئون الثقافية / بغداد

٨ – د. شفيق السامرائي – حزب البعث العربي الشئون الثقافية / ١٩٨٨

٩ – طه ياسين رمضان – صدام الرفيق والأخ والقائد الشئون الثقافية / بغداد

١٠ – ميشيل عفلق – في سبيل البعث دار الحرية / بغداد

١١ – د. يوسف خليل – القومية العربية دار الكاتب العربى / ١٩٦٧

١ – أبو الحسن الندوي – الصراع دار الأنصار / ١٩٧٧

٢ – أنور الجندي – تاريخ الدعوة الإسلامية دار الإعتصام

– عقبات في طريق النهضة دار الأعتصام

٣ – تقي شرف الدين – النصيرية بيروت – لبنان / ١٩٨٣

٤ – جورج انطونيوس – يقظة العرب دار العلم للملايين / بيروت

٥ – سعد الدين السيد صالح – احذروا الإساليب الحديثة في مواجهة الإسلام

دار الأرقم / الزقازيق / ١٩٨٨

٦ – صافي ناز كاظم – يوميات بغداد

منشورات أوين برس المحدودة / لندن

٧ – طارق حجي – تجربتي مع الماركسية (ط٢) القاهرة

٨ – عبد الحليم عويس – المسلمون في معركة البقاء دار الإعتصام

٩ – عبد الجواد يس – مقدمة في فقه الجاهلية المعاصرة

الزهراء للإعلام العربي

١٠ – الشيخ عبد العزيز بن باز – نقد القومية العربية (ط٤) المكتب الإسلامي

١١ – عبد الحميد متولي – أزمة الفكر السياسي الإسلامي (ط٣)

الهيئة العامة المصرية للكتاب / ١٩٨٥

١٢ – محمد بن عبد الغني الفواوي – الصراع العربي الإسرائيلي (ط١)

١٣ – عبد الفتاح عبد المنعم الصبروتي – الحرب القذرة

١٤ – عبد المجيد تراب زمزمي – الحرب العراقية الإيرانية
الوكالة العالمية للتوزيع / الاسكندرية

١٥ – عدنان جابر – جرائم البعث الهدف للتوزيع والنشر

١٦ – د. علي أبو جريشة – أساليب الغزو الفكري الإعتصام
محمد شرف الزيبق

١٧ – عبد الله ناصح علون – القومية في ميزان السلام
دار السلام / بيروت

١٨ – مايلز كوبلاند ترجمة مروان خير – لعبة الأمم بيروت / الزيتونة

١٩ – محمد الحسن – المذاهب والأفكار المعاصرة
دار الثقافة / الدوحة / قطر ١٩٨٥

٢٠ – محمد بن عبد الغني الفواوي – دور الشعوبين الباطنيين في محنة لبنان
باكستان / إسلام آباد / ١٩٨٩

٢١ – د. محمود السمرة – مراجعات حول العروبة والإسلام وأوربا
كتاب العربي / أكتوبر ١٩٨٤

٢٢ – محمود عبد الرحيم – الشعب العربي يدين العفلقين
الدار القومية للطباعة والنشر

٢٤ – محمد سرور بن نايف بن زين العابدين – دراسات في السيرة النبوية
دار الأرقم / هجر – مصر ١٩٨٨

٢٥ – محمد عمارة – العروبة في العصر الحديث

دار الكاتب العربي / ١٩٦٧ القاهرة

٢٦ – محمد محمد أمين – تاريخ العلاقات بين أوربا والشرق في العصور الوسطى

الفهرس



الطبعة الثالثة



الطبعة الثانية



الطبعة الثانية



الطبعة الثالثة



الطبعة الثانية

المركز الإسلامي ابرمنجهام



الطبعة الثانية

مؤلفات أبو إسلام أحمد عبد الله

الماسونية في المنطقة ٢٤٥ . ط ٥ .... (٣٢٠ صفحة)

المثلث ٣٥٢. أسرار أندية ليونز الماسونية.............. (٢٥٦ صفحة)

الماسونية سرطان الأمم. رابطة العالم الاسلامي .... (١٤٨ صفحة)

شرخ في جدار الروتاري .... (١٦٠ صفحة)

الروتاري في قفص الاتهام . ... (٣٢٠ صفحة)

حقيقة الروتاري \ مصر . ط٣ .... (٦٤ صفحة)

لاياشيخ الأزهر. حول زيارة د. طنطاوي لأندية الماسونية .... (١٢٨ صفحة)

بديع الزمان النورسي. قصة كفاح. .... (٣٢ صفحة)

الطابور الخامس. الماسونية الجديدة في الشرق............ (٥٢٠ صفحة)

الحـــداثة. ملة الكفر المعاصر . ... (١٢٨صفحة)

من قتل الكلب؟ مقارنة بين القتيل فرج فودة وكلبه........... (٦٤صفحة)

الإجرام الأمريكي والحل الاسلامي . ... (١٦٠صفحة)

صدام حسين. النشأة.التاريخ.الجريمة . ... (٣٢٠صفحة)

الدفاع الأفضل. قصة فيلم يهودي عن غزو الكويت.......... (٣٢٠صفحة)

الفرعونية . ... (٢٣صفحة)

أوقفوا نزف الدم. إلى جناعتي الجهاد والجماعة الإسلامية...... (٦٤ ص)

فلسطين. سوأة الشيوعيين العرب . ... (٢٣صفحة)

قاسم أمين مدافعا عن الإسلام !!................................ (٤٦صفحة)

الألفية الجديدة. دكتاتورية جديدة أم خازوق لأمريكا............ (٣٢ ص)

الإخوان المسلمون في عيون الغرب............................ (٣٢صفحة)

العولمة. روية موضوعية .... (٤٠ صفحة)

شبهات وشطحات منكري السنة .... (٢٥٦صفحة)

المسلمون بأقلام صهيونية . ... (٣٢ صفحة)

الرجل أحمد ديدات والرسالة .... (٦٤ صفحة)

الأصابع الخفية. المنظمات المشبوهة فى مصر .... (٣٢٠صفحة)

عبدة الشيطان في مصر. العقيدة. الاعتراف .... (١٥٢ صفحة)

بطرس غالي. من الجد بطرس إلى بيت صهيون .... (٣٢٠صفحة)

بطرس غالي. القديس الذئب .... (٦٤صفحة)

التنوير الإسلامي ١ ـ ٤ . سلسلة ترصد أنشطة نصارى مصر... (٣٢ ص)

عندمـــــا حكم الصليب .... (٦٤صفحة)

الكنيسة والانحـــراف الجنسي .... (١٢٨صفحة)

النصرانية من الواحد إلى المتعدد. ط٢........................ (١٢٨صفحة)

من أغمى فتيات مصر (مدارسهن) ؟ .... (١٦٠صفحة)

شهود يهوه. التطرف النصراني في مصر . ... (١٧٦ صفحة)

منظمة الإخاء الديني الصليبية . ... (٣٢صفحة)

الجمعيات الكنسية الأرثوذكسية في مصر....................... (٦٤ صفحة)

النشاط التربوي الكنسي في مصر.............................. (٣٢صفحة)

النشاط الكاثوليكي البابوي في مصر............................ (٢٩ صفحة)

مقالات (الإمام محمد عبده) في النصرانية .... (٨٠ صفحة)

دور الصليبية في سقوط الخلافة الإسلامية .... (٩٦ صفحة)

١٣ خطوة لتنصير المسلمين . ... (٦٤ صفحة)

من إصدارات

بيت الحكمة

* مؤلفات : أحمد مطر
  - لافتات (١ :٧)
  - ديوان الساعة
  - إني المشنوق أعلاه
  - العشاء الأخير

* مؤلفات : أم المعتصم محمود سليمان
  - خطبة المرأة بين الهوى والهدى
  - حصن النساء للوقاية من السحر والجان
  - من أمرك بالحجاب؟
  - الله يشفيك
  - الحب بين الشباب

* النبوة والسياسة (جريس هالسل)
* النفوذ اليهودي (فؤاد الرفاعي)

كما صدرت في معرض القاهرة الدولي للكتاب (ذي القعدة ١٤٢٤ ـ يناير ٢٠٠٤) المجموعة الأولي من موسوعة الأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله : النصارى والنصرانية والتنصير في بلاد المسلمين، وهي اثنى عشر رسالة، و نرجوا من القراء متابعة ألإصدرات الجديدة من سلسلة هذه الموذسوعة الفريدة من نوعها في المكتبة الإسلامية.